ويسألونك عن الأسماء الحسنى

آية الله العلامة

السيد عادل العلوي

ويسألونك

عن الأسماء الحسنى

السيد عادل العلوي

ويسألونك عن الأسماء الحسنى

[الكتاب: ويسألونك عن الأسماء الحسنى

[تأليف: السيد عادل العلوي

[الناشر: المجمع الإسلامي العالمي للتبليغ والإرشاد

[العنوان: إيران، قم، ص. ب ٤٦٣٤

[الطبعة: الثانية ١٤٣٧ الهجري - ١٣٩٥ الشمسي - ٢٠١٦ الميلادي

[شابك: [ISBN: ٩٦٤ - ٥٩١٥ - ٨٨ - ٠

[شابك (دورة ١٠٠ جلد): [Vol.Set-١٠٠] ٩٦٤ - ٥٩١٥ - ١٨ - X

[المواقع الإلكترونية: [www.Altabliq.Com & www.Alawy.net

[البريد الإلكتروني: [info@Altabliq.com & Maktab@Alawy.net

ويسألونك عن الأسماء الحسنى

الحمد لله كما هو أهله ومستحقّه، وكما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، وجمال أسمائه، وكمال صفاته. والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمّد وآله.

اعلم أنّ من خصائص القرآن الكريم أنّه يسوقك إلى معرفة الوجود وحقيقته ومعرفة مراتبه، حتّى تصل إلى مقام الشهود والحضور والكشف، في معرفة الكون وما فيه، وما وراءه من الأسرار والحقائق المجرّدة حتّى تنتهي إلى معرفة ربّ العالمين وتربط الحادث بالقديم والكون بربّه.

(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ)(١).

وبعد رفع الستار عن الروح الإنسانيّة يقف الإنسان على حكمة الآيات وأسرار الكائنات. إلّا أنّه ما دامت النفس الإنسانيّة تحجبها الظلمات من اتّباع الأهواء والشهوات، فإنّه يُحرم الإنسان من معرفة أسرار الوجود وحقيقته من الوحدة والكثرة.

فلو طهُر الإنسان من شوائب النقص ووصل إلى قمّة الكمال وشموخ المعرفة، بمعرفة نفسه ثمّ بمعرفة ربّه (من عرف نفسه فقد عرف ربّه) من خلال الثقلين كتاب الله والرسول الأعظم وعترته الأطهار :، فإنّه لا مال

---

(١) النحل: ٤٤.

سيكون مظهراً لأسماء الله، ومرآة حقّ لصفاته الجماليّة والجلاليّة ، وسيعرف أنّ ما في الكون من مراتب الوجود وحقائقه إنّما هي تجلّيات وظهورات لأسماء الله وصفاته ، وما الأسماء إلّا دلالة على مسمّيات متكثّرة تنتهي في مراتبها إلى الواحد الأحد الفرد الصمد سبحانه وتعالى.

والقرآن الكريم كلام الله الهادي ، إنّما تُفسّر آياته الكريمة بما عند المفسّرين من خلفيّات علميّة ، فما ينطقون به إنّما هو وميض من قبسات القرآن الكريم ، وإنّ فوق كلّ ذي علمٍ عليم ، ولا يُفسَّر القرآن بكماله وتمامه إلّا الإنسان الكامل جامع الجمع ، وهو الرسول الأعظم محمّد ٩ ومن نزل القرآن في بيوتهم التي أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه ، آل محمّد الأئمّة الأطهار :.

(وَأنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)(١).

فإنّهم حقيقة القرآن الناطق ، وكلام الله الصادق.

فالإنسان الكامل جامع جميع صفات الجمال والجلال ، مظهر اسم الله الأعظم ، إنّما هو العلّة الغائيّة لجميع المخلوقات المجرّدة وغيرها، وهو الحقيقة المحمّديّة «لولاك لما خلقت الأفلاك » تسري تجلّياتها في الكائنات لتمثّل توحيد الله، وتظهر أسماءه وصفاته ، ويكون الإنسان الكامل وليّ الله الأعظم يتصرّف بإذن ربّه في الكائنات تقديراً وتدبيراً، تشريعاً وتكويناً، وما المخلوقات والمصنوعات إلّا أسماء بارزة وآيات ناطقة عن مطلق الكمال والكمال المطلق ، ولإمكانها الذاتي افتقرت في حدوثها وبقائها وكمالاتها إلى واجب الوجود بذاته ، المستجمع لجميع صفات الجمال والجلال ، وهو الله الأحد الصم الذي لم يكن له كفوٌ أحد.

---

(١) الشورى : ١١.

والـذات الإلهيّـة غيـب الغيـب لا يعلـم مـا هـو إلّا هـو، بـلا اسـم ولا رسـم تخلّـى مـن كلّ قيـد حتّـى قيـد الإطـلاق وإطـلاق القيـد، إلّا أنّ الأسـماء التـي دلّـت علـى تلـك الـذات الأُلوهيّـة والربوبيّـة ، كانـت أحسـن الأسـماء، فللّـه الأسـماء الحسـنى.

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)(١).

زبـدة الـكلام : إنّ الأسـماء الحسـنى الإلهيّـة متأخّـرة عـن ذات اللـه، والأعيـان الثابتـة فـي علـم اللـه أسـماء اللـه، والأعيـان الخارجيّـة مـع تعيّنهـا الخـاصّ أسـماء الأسـماء، والألفـاظ الدالّـة علـى ذلـك أسـماء أسـماء الأسـماء.

ثـمّ ، كلّ اسـم لـه ظهـور خـاصّ وتعيّـن خـاصّ بالنسـبة إلـى الـذات المقدّسـة ، فمـا الأسـماء إلّا تجلّيـات الـذات سـبحانه وتعالـى.

ومـا المخلوقـات إلّا تجلّيـات الأسـماء، ومـا التجلّيـات إلّا ظهـورات لمطلـق الكمـال والكمـال المطلـق الجامـع بيـن صفـات الجـلال والجمـال «ذو الجـلال والإكـرام » فـكلّ اسـمٍ مـن ورائـه أثـر خـاصّ ، فالشـافي للشـفاء والمنتقـم للانتقـام، والعليـم للعلـم ، والـرزّاق للرزق ، وهكـذا في الأسـماء الأُخرى ، ويبقى اسـم الجلالة (اللـه) هـو الاسـم الأعظـم الـدالّ علـى الـذات الإلهيّـة ، ترجـع إليـه كلّ الأسـماء والصفات.

قـال العلّامـة الطباطبائـي ١ فـي تفسـيره القيّـم (الميـزان) :ومـن هنـا يظهـر أنّ مـا بيـن نفـس الأسـماء سـعةً وضيقـاً وعمومـاً وخصوصـاً علـى الترتيـب الـذي بيـن آثارهـا الموجـودة فـي عالمنـا، فمنهـا خاصّـة ، ومنهـا عامّـة ، وخصوصهـا وعمومهـا بخصـوص حقائقهـا الكاشـفة عنهـا آثارهـا وعمومهـا، وتكشـف عـن كيفيّـة النسـب التـي بيـن حقائقهـا النسـب التـي بيـن مفاهيمهـا، فالعلـم اسـم خـاصّ بالنسـبة إلـى

---

(١) الميزان :٨ ٣٥٤.

الحيّ، وعامّ بالنسبة إلى السميع البصير الشهيد اللطيف الخبير، والرزّاق خاصّ بالنسبة إلى الرحمان ، وعامّ بالنسبة إلى الشافي الناصر الهادي ، وعلى هذا القياس.

فللأسماء الحسنى عرض عريض تنتهي من تحت إلى اسم أو أسماء خاصّة لا يدخل تحتها اسم آخر، ثمّ تأخذ في السعة والعموم ، ففوق كلّ اسم ما هو أوسع منه وأعمّ حتّى تنتهي إلى اسم الله الأكبر، الذي يسع وحده جميع حقائق الأسماء، وتدخل تحته شتات الحقائق برمّتها، وهو الذي نسمّيه غالباً بالاسم الأعظم.

ومن المعلوم أنّه كلّما كان الاسم أعمّ كانت آثاره في العالم أوسع ، والبركات النازلة منه أكبر وأتمّ ، لما أنّ الآثار للأسماء ـ كما عرفت ـ فما في الاسم من حال العموم والخصوص يحاذيه بعينه أثره ، فالاسم الأعظم ينتهي إليه كلّ أثر، ويخضع له كلّ أمر(١).

ثمّ يتعرّض لبيان الاسم الأعظم ، فراجع.

---

(١) البحار :٥٨ ٣٦.

الاسم لغةً واصطلاحاً

الاسم لغة : من (وسم) بمعنى العلامة ، أو (سمو) بمعنى العلوّ، وأيّ كان فإنّه في المصطلح يطلق ويراد به أحد المعنيَين :

١ ـ اللفظ الدالّ على الذات فقط أو الدالّ على الذات مع حكاية وصف من أوصافه كالعالم ، ومن الأوّل الأعلام المرتجلة كزيد.

٢ ـ ما يخرج من نفس الذات والوجود العيني ، ويكون اللفظ الدالّ عليه يسمّى باسم الاسم. والمعنى الأوّل من مقولة اللفظ ، والثاني من مقولة الوجود العيني ، ثمّ الاسم غير المسمّى.

ورد في الحديث الصادقي ٧ أنّه من عبد الاسم دون المسمّى فقد كفر، ومن عبدهما فقد أشرك ، والعابد والموحّد حقيقةً مَن عبد المسمّى دون الاسم ، فهذا يدلّ على المعنى الأوّل ، وما يدلّ على المعنى الثاني ما ورد في الأدعية والروايات كقوله ٧: «أسألك بالاسم الذي خلقت به العرش ، وبالاسم الذي خلقت به الكرسي ، وبالاسم الذي خلقت به الأرواح »(١).

وفي الحديث الرضوي الشريف حينما سئل عن معنى الاسم فقال : «صفة للموصوف » فإنّه يدلّ على المعنى الثاني ظاهراً، وإن كان لا يبعد منه المعنى الأوّل أيضاً.

---

(١) الميزان :٨ ٣٥٩.

وأشار العلّامة الطباطبائي في تفسيره القيّم (الميزان) إلى المعنيين فقال: الاسم بحسب اللغة ما يدلّ به على شيء سواء أفاد مع ذلك معنىً وصفيّاً كاللفظ الذي يشار به إلى الشيء لدلالته على معنى موجود فيه، أو لم يفد إلّا الإشارة إلى الذات كزيد وعمرو خاصّة المرتجل من الأعلام(١).

ثمّ قال:

وقوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ)(٢) مشعرٌ بأنّ هذه الأسماء أو أنّ مسمّياتها كانوا موجودات أحياء عقلاء محجوبين تحت حجاب الغيب، وأنّ العلم بأسمائهم كان غير نحو العلم الذي عندنا بأسماء الأشياء، وإلّا كانت الملائكة بإنباء آدم إيّاهم بها عالمين بها، وصائرين مثل آدم مساوين معه، ولم يكن في ذلك إكرام لآدم ولا كرامة، حيث علّمه الله سبحانه أسماء ولم يعلّمهم. فقد ظهر ممّا مرّ أنّ العلم بأسماء هؤلاء المسمّيات يجب أن يكون بحيث يكشف عن حقائقهم وأعيان وجوداتهم دون مجرّد ما يتكفّله الوضع اللغوي من إعطاء المفهوم، فهؤلاء المسمّيات المعلومة حقائق خارجيّة، ووجودات عينيّة، وهي مع ذلك مستورة تحت ستر الغيب غيب السماوات والأرض والعلم بها على ما هي عليها كان أوّلا ميسوراً ممكناً لموجود أرضيّ لا ملك سماوي، وثانياً دخيلا في الخلافة الإلهيّة(٣).

وقال أيضاً: ومعنى تعليمه نبيّاً من أنبيائه أو عبداً من عباده إسماً من أسمائه أو شيئاً من الاسم الأعظم، هو أن يفتح له طريق الانقطاع إليه تعالى باسمه ذلك في دعائه ومسألته، فإن كان هناك اسم لفظي وله معنى مفهوم، فإنّما

---

(١) البقرة: ٣١.
(٢) الميزان: ١ ١١٧.
(٣) الميزان: ١٨ ٣٧٣.

ذلـك لأجـل أنّ الألفـاظ ومعانيهـا وسـائل وأسـباب تحفـظ بهـا الحقائـق نوعـاً مـن الحفـظ ، فافهم ذلـك(١).

ء

---

(١) الأعراف : ١٨٠.

وجه تسمية الأسماء بالحسنى

لِمَ توصف أسماء الله بالحُسنى ؟ فبأيّ اعتبار اسم الله أحسن الأسماء؟ وما معنى ذلك ؟

لقد وردت كلمة (الأسماء الحسنى) في القرآن الكريم في أربعة مواضع ، في قوله تعالى :

١ ـ (وَللهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(١).

٢ ـ (قُلِ ادْعُوا اللهَ أوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى)(٢).

٣ ـ (اللهُ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى)(٣).

٤ ـ (هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ)(٤).

والمقصود من الأسماء الحسنى لله سبحانه أنّه الاسم الذي يحكي عن الذات والصفة الدالّ عليه الاسم.

---

(١) الإسراء: ١١٠.

(٢) طه : ٨.

(٣) الحشر: ٢٤.

(٤) الرحمن : ٢٩.

وهذا الإطلاق في المحاورات العرفيّة على نحوين : فتارةً يطلق ويراد منه كمال الصفة إلّا أنّه مشوب من جهة أُخرى بالنقص ، وأُخرى يطلق ويراد منه الكمال من دون أيّ نقصٍ آخر، فمن الأوّل (العفيف) و(الشجاع) فإنّهما وإن كانا صفات كمال ، إلّا أنّه وراءهما الجسم والنقص والحدوث ، فمثل هذه الأسماء لا تطلق على الله، ومن الثاني كإطلاق (الجواد) و(الرحيم) الدالّان على الكمال من دون شوب النقص ، فمثل هذه الأسماء تسمّى بالحُسنى ، فإنّ الاسم (عفيف) حسن يدلّ على عفّة الرجل وذلك من كماله ، إلّا أنّ الاسم الأحسن (العدل) الذي يطلق حقيقة من دون نقص على الله سبحانه دون غيره، وإن أُطلق على غيره فهو من التجوّز.

فالاسم الأحسن ما يدلّ على الكمال من دون النقص ، ومثل هذه الأسماء لا تطلق إلّا على الله سبحانه (فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى) على نحو القصر والحصر، ولما لا يعلم حقيقة الأسماء إلّا هو، وكانت الأسماء الإلهيّة (توقيفيّة) أي متوقّفة على إذن من الشارع المقدّس ، كما أفتى به الفقهاء وهو المختار الموافق للاحتياط.

فالأسماء الحسنى الإلهيّة ما دلّت على الذات الكاملة ، أو تنفي النقص عن ساحته المقدّسة ، تنقسم إلى أسماء الجمال وأسماء الجلال. فإنّه جميل ويحبّ الجمال ، ويجلّ ذاته عن النقائص والقبائح. ومن أطلق الاسم عليه بغير هذين المعنيين فإنّه قد ألحد في أسمائه ، واللحد والإلحاد بمعنى واحد، وهو الميل من الحدّ الوسط إلى طرفي الإفراط والتفريط ، واللحد حفرة مائلة عن الوسط ، فالملحد في أسماء الله، أو نسبة النفع والضرر إلى الآلهة،كقول عبّاد الأصنام ، أو ينسب لله ما يُنسب إلى خلقه كالجسميّة ، فإنّه إلحاد في

وصفه وأسمائه ، كما ينسبون إليه الجهل أو الظلم أو الاحتياج ، أو رؤيته بالعين الباصرة في الدنيا أو الآخرة... فمن يدعو الله بأسمائه الحسنى وأنّه ذو الجلال والإكرام ، فإنّه كان من الموحّدين المهتدين ، أمّا من دعاه بغيرها، فإنّه كان من الملحدين الضالّين.

فسبحانه يتنزّه في ذاته عن أيّ تعيين وتعيّن. فكمال الإخلاص له ، نفي الصفات عنه ، لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف ، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة ، فإنّه في مقام الذات وجود محض ومحض الوجود، لا يتّصف بصفة أي لا تغاير في صفاته ، وإنّ أسماءه وصفاته تظهر في مقام الصفات والأفعال ، فهي من تجلّيات مقام الذات ، وما يظهر في عالمي الأمر والخلق من شؤونات إنّما هي ظهورات للأسماء والصفات ، (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)(١)

فالأسماء والصفات وسائط بين الذات والكائنات. فبقهّاريّته قهر العباد، وبعدم حدوده حدّ الخلائق ، وبعزّته ذلّ له كلّ شيء، وبرفعته تواضع له ما في السماوات والأرض.

فللّه الأسماء الحسنى فادعوه بها.

لقد اختلف الأعلام في معنى الدعاء بأسماء الله، فقيل بمعنى التسمية أي سمّوه بهذه الأسماء الواردة في لسان الشرع المقدّس ، وقيل بمعنى النداء أي نادوه بأسمائه الحسنى ، وقيل : بمعنى العبادة أي أنّ أحسن الأسماء لله ألا فاعبدوا الله بهذه الأسماء الحسنى ، ومال إليه العلّامة الطباطبائي مستدلّاً بآيات من الكتاب العزيز، فقوله تعالى : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ

(١) المؤمن : ٦٠.

عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)(١) فذكره الدعاء أوّلا ثمّ تبديله بالعبادة إيماء على اتّحادهما، ويؤيّده قوله تعالى: (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(٢) فلو كان المراد من الدعاء التسمية أو النداء دون العبادة لكان الأنسب أن يقال: بما كانوا يصفون. فمعنى الآية ـ والله العالم ـ ولله جميع الأسماء التي هي أحسن فاعبدوه وتوجّهوا إليه بها، والتسمية والنداء من لواحق العبادة(٣). ومن كان له الأسماء الحسنى فهو أحقّ بالعبادة من غيره، فلا إله ومعبود بحقّ وعلى الإطلاق إلّا الله سبحانه وتعالى.

ثمّ ما يتّصف بالحسن والقبح ما كان اسماً وصفاً كاسم الفاعل أو اسم المفعول أو الصفة المشبّهة، لا ما كان علماً، فأسماء الله باعتبار الوصفيّة أحسن الأسماء، كما أنّ أسماء الأئمّة الأطهار بالنسبة إلى غيرهم دون الله من أحلى الأسماء «أسماءكم في الأسماء... فما أحلى أسمائكم»(٤)، ويطلق في القرآن الكريم التسمية على التوصيف كقوله: (قُلْ سَمُّوهُمْ)(٥) أي صفوهم، فادعوا الله بأسماء الحسن وذروا الذين يلحدون في أسمائه، فيطلقون ما له على غيره، أو ما لغيره عليه عزّ وجلّ، فهذا انحراف وميل وإلحاد من الحقّ إلى الباطل، ومن الهداية إلى الضلال.

فالأسماء منها ما هي قبيحة في الوصف كالظالم والجاهل، ومنها ما هي حسنة كالعالم والعادل، والأحسن منها ما لم يكن فيها شائبة النقص

---

(١) الأعراف: ١٨٠.

(٢) درآمدى بر اسماء الهى از ديدگاه قرآن و عرفان، بقلم رضا رمضاني الكيلاني: ٦٦، عن الميزان: ٨: ٣٦٠.

(٣) زيارة الجامعة الكبرى في مفاتيح الجنان.

(٤) الرعد: ٣٣.

(٥) يس: ٨٢ـ٨٣.

والإمكان كالحيّ والقدير، فمثل هذه الأسماء يوصف الله بها.

وإنّما يقف على مثل هذه الحقائق الملكوتيّة ، من قرب من ربّه قاب قوسين أو أدنى ، فإنّه يرى ملكوت الأشياء وبواطنها، فإنّ الملكوت هو الوجه الباطن من الأشياء الذي يلي جهة الربّ سبحانه وتعالى :(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ)(١).

(أَوَ لَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)(٢).

فهذا النظر والتدبّر والاستدلال مفتوح لكلّ واحد من الناس ، إلّا أنّ كثيراً منهم حقّ عليهم القول بما كانوا يكسبون من الذنوب والآثام ، فحجبت عن أبصارهم وسمعهم ، وجذبتهم الظواهر وغرّتهم الحياة الدنيا، فعاشوا الاضطراب والشكّ وكفران النعم فاستدرجهم الله ليهلكهم ويعذّبهم عذاباً أليماً.

فمثل إبراهيم الخليل يرى الملكوت وحقائق الأمور :(وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ)(٣).

ومثل هذا النظر يستلزم اليقين والاطمئنان :(ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ)(٤).

فللّه الأسماء الحسنى إنّه منزّه عن كلّ حاجة ونقيصة ، يرجع إليه كلّ شيء في رفع حاجته ونقيصته :(أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ)(٥) الصمد والسيّد المقصود في كلّ حاجة ، ذو القوّة المتين ، له الملك والملكوت ، فله الظاهر والباطن من كلّ شيء على نحو الإطلاق.

(فهو حيّ قادر عليم سميع بصير، لأنّ في نفيها إثبات النقص ولا سبيل

---

(١) الأعراف : ١٨٥.

(٢) الأنعام : ٧٥.

(٣) الرعد: ٢٨.

(٤) فاطر: ١٥.

(٥) الميزان :٨ ٣٥٠.

للنقص إليه ، ورازق ورحيم وعزيز ومحيي ومميت ومبدئ ومعيد وباعث إلى غير ذلك ، لأنّ الرزق والرحمة والعزّة والإحياء والإماتة والإيذاء والبعث له ، وهو السبّوح القدّوس العليّ الكبير المتعال إلى غير ذلك ، نعني بها نفي كلّ نعت عدمي وكلّ صفة نقص عنه.

فهذا طريقنا إلى إثبات الأسماء والصفات له تعالى على بساطته ، وقد صدّقنا كتاب الله في ذلك ، حيث أثبت المِلك ـ بكسر الميم ـ والمُلك ـ بضمّ الميم ـ له على الإطلاق في آيات كثيرة لا حاجة إلى إيرادها)(١).

ء

---

(١) الميزان :٨ ٣٥٦.

الفرق بين الصفة والاسم

لا فرق بين الصفة والاسم في حكايتهما عن الذات ، إلّا أنّ الصفة تدلّ على معنى من المعاني يتلبّس به الذات أعمّ من العينيّة والغيريّة ، والاسم هو الدالّ على الذات مأخوذة بوصف من الأوصاف ، فالحياة والعلم صفتان، والحيّ والعالم اسمان ، وإذ كان اللفظ لا شأن له إلّا الدلالة على المعنى وانكشافه به، فحقيقة الصفة والاسم هو الذي يكشف عنه لفظ الصفة والاسم، فحقيقة الحياة المدلول عليها بلفظ الحياة هي الصفة الإلهيّة وهي عين الذات ، وحقيقة الذات بحياتها التي هي عينها هو الاسم الإلهي ، وبهذه النظرة يعود الحيّ والحياة اسمين للاسم والصفة ، وإن كانا بالنظر المتقدّم نفس الاسم ونفس الصفة.

وقيل في صفات الله الإيجابيّة كإثبات العلم أنّها ترجع إلى النفي ، أي نفي الجهل عنه ، رعايةً لتنزيهه عن صفات خلقه ، فالله الحيّ العالم القادر معناه نفي الجهل والعجز والموت عنه التي هي من صفات خلقه ، إلّا أنّه يردّ عليه أنّه يلزمه نفي جميع صفات الكمال والجلال عن الله سبحانه وتعالى ، كما أنّه يتنافى مع ظواهر الآيات الكريمة ، ويدفعه أيضاً السلوك الفطري من مشاهدته إلى ما في الكون من صفات الكمال ، فمالكه أولى به من غيره. ونظير هذا القول المردود ما قيل من زيادة صفات الله على ذاته ، أو نفي

الصفات وإثبات آثارها وغير ذلك(١) ممّا هو ثابت البطلان في محلّه من (علم الكلام).

ثمّ تنقسم الصفات الإلهيّة إلى أقسام، فمنها ما يفيد معنىً ثبوتيّاً كالعلم والحياة، وهي المشتملة على معنى الكمال، ومنها ما يفيد معنى السلب وهي التي للتنزيه كالسبّوح والقدّوس، وبذلك يتمّ انقسام الصفات إلى قسمين: ثبوتيّة وسلبيّة.

ثمّ من الصفات ما هي عين الذات ليست بزائدة عليها كالحياة والقدرة والعلم بالذات، وهي المسمّاة بالصفات الثبوتيّة الذاتيّة، ومنها ما يحتاج في تحقّقه إلى فرض تحقّق الذات قبلا كالخلق والرزق وهي الصفات الفعليّة، وهي زائدة على الذات منتزعة عن مقام الفعل.

وتنقسم إلى النفسيّة والإضافيّة، فما لا إضافة في معناها إلى الخارج عن مقام الذات كالحياة تكون نفسيّة، وما له إضافة إلى الخارج سواء كان معنىً نفسيّاً ذا إضافة كالصنع والخلق فهي النفسيّة ذات الإضافة، أو معنىً إضافيّاً محضاً كالخالقيّة والرازقيّة فهي الإضافة المحضة.

وأمّا الأسماء الحسنى فتنقسم باعتبار الذات والصفات والأفعال إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ الأسماء الذاتيّة: فيما ظنّ ظهور الحقّ ينشأ من ذاته كاسم الجلالة (الله) و(ذو الجلال) و(القدّوس) و(الصمد) فمثل هذه الأسماء التي تطلق على الذات الإلهيّة من دون إضافتها إلى الخلق والممكنات تتحقّق في الأعيان الثابتة فيحيط الله بخلقه قبل وجوده إحاطة علميّة، فيقوم الاسم بالذات في

---

(١) الحشر: ٢٣ ـ ٢٤.

أعلى مراتب وجود واجب الوجود، تخبر عن الذات الإلهيّة الجامعة لجميع صفات الجمال والجلال.

٢ ـ الأسماء الصفاتيّة : تلك الأسماء التي تعرّف الذات الإلهيّة في كمال من كمالاته ، فتصف الذات بنحو من الأنحاء كاسم (الرحمن) (الرحيم) (الكريم) (القاهر) فإنّها تشير إلى وصف من الأوصاف بلا نهاية.

٣ ـ الأسماء الفعليّة : فإنّها تظهر بحسب التجلّي الفعلي للحقّ سبحانه ويكون الظهور الفعلي بيان للإرادة والمشيّة الإلهيّة كاسم (الرزّاق) (التوّاب) (الهادي).

وفي سورة الحشر إشارة إلى الأقسام الثلاثة في قوله تعالى :(هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ)(١).

وتجتمع أسماء الأفعال في صفة (القيّوم)، كما أنّ أكثر الأسماء مطلقاً من المشتقّات وتحمل المعاني الوصفيّة حتّى كلمة الجلالة (الله) فإنّه مشتقّ من (وله) بمعنى الحيران فيكون العقل حيران في معرفة ربّه وفي حبّه ، أو مشتقّ من (أله) بمعنى المعبود فإنّ الله هو مستحقّ العبادة حقّاً.

وقيل : وتنقسم بنوع من القسمة أيضاً إلى أسماء الذات وأسماء الصفات وأسماء الأفعال ، وإن كان كلّها أسماء الذات لكن باعتبار ظهور الذات فيها تسمّى أسماء الذات ، وبظهور الصفات فيها تسمّى أسماء الصفات ، وبظهور الأفعال فيها تسمّى أسماء الأفعال ، وأكثرها يجمع الاعتبارين أو الثلاث إذ

(١) البقرة : ٣١.

فيها ما يدلّ على الذات باعتبار، وما يدلّ على الصفات باعتبار آخَر، وما يدلّ على الأفعال باعتبار ثالث، كالربّ، فإنّه بمعنى الثابت للذات، وبمعنى المالك للصفة، وبمعنى المصلح للفعل.

ثمّ ربما هناك تقسيمات أُخرى باعتبارات مختلفة، فإنّها تنقسم إلى الظاهر والباطن والأوّل والآخر والجامع لهذه الأسماء الأربعة (الألوهيّة) فكلّ موجود إنّما ظهر باسم (الظاهر) ولكلّ ظاهر باطن. فبواطن الموجودات معلول اسم (الباطن) وما يتعلّق بالإيجاد والإبداء يدخل في اسم (الأوّل) وما يتعلّق بالإعادة (الجزاء) يدخل في اسم (الآخر).

والإنسان الكامل هو مظهر كلّ الأسماء والصفات كما هو مظهر الأسماء الأربعة التي هي أُمّهات الأسماء.

ما هو الاسم الأعظم ؟

قيل: الاسم الأعظم هو اسم جمع فيه فوائد جميع الأسماء وآثارها وهو (الله) ويسمّى باسم الجامع.

وقيل: الاسم الأعظم هو الإنسان الكامل لأنّه جامع لجميع الأسماء ويؤيّده قوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا)(١) أي ركّب فيه هذه الأسماء الذاتيّة،

وتسمّى بمفاتيح الغيب وأئمّة الأسماء والأسماء الأوّليّة، وهي ما لا يتوقّف وجوده على الغير.

وقيل: الإنسان الكامل نفسه هو الاسم الأعظم الذي به يصلح مفاسد الأُمور، وهو أعلى وأجلّ قدراً عند الله من الاسم التدويني واللفظي كما لا يخفى لطفه.

---

(١) طه: ١١١.

وقد اختلف الأعلام في معنى الاسم الأعظم اختلافاً كثيراً يزيد على ستّين قولا، إلّا أنّ المشهور أنّه لفظ الجلالة (الله) سبحانه وتعالى.

وقيل: في المصحف الشريف ولا يتعيّن.

وقيل: في آية الكرسي.

وقيل: في آل عمران في قوله تعالى: (وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ)(١).

وقيل: في طه، وهو مرويّ عن النبيّ ٩.

وروي عن الإمام الصادق ٧: «إنّه ربّنا».

وعن أمير المؤمنين ٧: إنّه من أوّل الحديد إلى قوله تعالى: (عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)(٢).

وقيل: في البسملة، وإنّه أقرب من بياض العين إلى سوادها.

وقيل: في الفاتحة، وهما المرويّان عن الصادق ٧.

وقيل: إنّه في الحروف التهجّي المقطّعة في أوائل السور، ولو جمعت وأُسقطت منها المتكرّرات لصارت (صراط على حقّ نمسكه).

وقيل: المتكبّر، لأنّه حوى عدد أُصول جميع الحروف النورانيّة.

وقيل: في الحواميم.

وقيل: إنّه (يا حيّ يا قيّوم) وبالعبرانيّة: (رآهيآ شراهيآ) وبه جاء عرش بلقيس من سبأ.

وعن النبيّ ٩ في آخر سورة الحشر.

وفي روايةٍ أُخرى في آخر سورة الملك.

---

(١) الحديد: ٦.

(٢) آل عمران: ١٧٣.

وقيل : إنّه (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ)(١).

وقيل : (لا إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ)(٢) إلى آخر الآية الشريفة.

وغير ذلك من الأقوال ، كما يذكر بعضها الكفعمي في مصباحه.

وفي كتاب مفتاح السعادة ، الصفحة :٥١٢ إنّ الاسم الأعظم واحد وسبعون حرفاً، وعلمه عند أولياء الله يوجد في البسملة ، وفي آخر آيات سورة الحشر، إلّا أنّه مع توفّر الشروط العامّة والخاصّة ، كما هو معلوم عند أهله.

وقيل : الاسم الأعظم في كلمة (لا إله إلّا الله الملك الحقّ المبين) وإنّما يتمّ تأثيره عند الانقطاع عمّا سوى الله سبحانه ، ثمّ الفناء فيه ، والبقاء به ، ولا يلقّاها إلّا ذو حظٍّ عظيم.

وقيل : من يطلب بعض فوائد الاسم الأعظم فعليه في وقت السحر مع خضوع وخشوع وإخلاص في النيّة والعمل ومع حضور القلب وخلوّه من حبّ الدنيا، وخلاصه من القيود الجسمانيّة أن يقرأ أربعة عشر مرّة من قوله تعالى : (لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الجَنَّةِ)(٣) إلى آخر سورة الحشر. فإنّه ينال المطلوب إن شاء الله تعالى.

وقيل : كلّ اسم إذا نسب إلى الله فهو الاسم الأعظم وأمّا إذا نُسبت بعض الأسماء إلى بعض ، فإنّ مفاهيم بعضها أوسع من بعض فتختلف حينئذٍ، والذي يجمع كلّ المفاهيم والمعاني والصفات وصار علماً للذات المستجمع لجميع صفات الجمال والجلال هو اسم الجلالة (الله) جلّ جلاله. فمن فنت إرادته في إرادة ربّه ،فلا يريد إلّا ما أراده الله عزّ وجلّ ، فإنّه سيقف على حقيقة

---

(١) الأنبياء: ٨٧.

(٢) الحشر: ٢٠.

(٣) الإسراء: ١١٠.

الاسم الأعظم الذي إذا دعي به على مغالق أبواب السماء للفتح لانفتحت.

قيل: الأسماء تنقسم أيضاً بنوع من القسمة إلى أربعة هي الأُمّهات: وهي الأوّل والآخر والظاهر والباطن، ويجمعها الاسم الجامع وهو الله والرحمن، قال تعالى: (قُلِ ٱدْعُوا اللهَ أَوِ ٱدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى)(١)

أي فلكلّ منها الأسماء الحسنى الداخل تحت حيطتهما، فكلّ اسم يكون مظهره أزليّاً وأبديّاً، فأزليّته من الاسم الأوّل، وأبديّته من الاسم الآخر، وظهوره من الاسم الظاهر، وبطونه من الاسم الباطن، فالأسماء المتعلّقة بالإبداء والإيجاد داخلة في الأوّل، والمتعلّقة بالإعادة والجزاء داخلة في الآخر، وما يتعلّق بالظهور والبطون داخلة في الظاهر والباطن، والأشياء لا تخلو من هذه الأربعة: الظهور والبطون والأوّليّة والآخريّة.

وقيل: ومن الأسماء ما هي (مفاتيح الغيب) التي لا يعلمها إلّا هو، ومن تجلّى له الحقّ بالهويّة الذاتيّة.

ومنها: (مفاتيح الشهادة) أي الخارج، وقد يطلق ويراد بها المحسوس الظاهر فقط. وقد يراد أعمّ من ذلك كما قال: (عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ)(٢) وكلّها داخلة تحت الاسم الآخر والظاهر بوجه آخر، فالأسماء الحسنى هي أُمّهات الأسماء كلّها.

ثمّ التكثّر في الموجودات إنّما هو من تجلّيات الأفعال والصفات للحقّ سبحانه، وأمّا في مقام الذات والأحديّة فلا يتصوّر الكثرة بوجه من الوجوه.

---

(١) الأنعام: ٧٣.

(٢) طه: ٨.

وتنقسم الأسماء باعتبار دخول بعضها في بعض إلى كلّيّة وجزئيّة ، فالأوّل كاسم الجلالة فإنّه يجمع الأسماء الأُخرى والاسم الذي يتجلّى من الذات أوسع ممّا يتجلّى من الصفات ، والصفات أكبر من الأفعال ، وأمّا الجزئيّة فهي التي تحكي عن تعيّن خاصّ لله سبحانه كاسمه (الرازق) فإنّه يخبر عن رزق الله فقط ولا تخبر عن الرأفة الإلهيّة مثلا، فيكون بالنسبة إلى ما فوقه جزئيّاً.

من التقسيمات أنّها تنقسم إلى جمال وجلال ، والأوّل يدلّ على لطف الله ورحمته ، ويوجب الأُنس والحبّ ، والثاني يدلّ على الغضب الإلهي ، ويوجب الهيبة والجلال.

ولا يخفى أنّ في باطن كلّ اسم جلال هو جمال الحقّ ، وفي باطن كلّ اسم جمال الله هو جلال الحقّ ، وهذا من أسرار الحقّ ، ومن السفر من الحقّ إلى الحقّ بالحقّ.

جمالك في كلّ الحقائق وليس له إلّا جلالك ساترُ

ثمّ تقابل أسماء الجلال والجمال في الظاهر دون الباطن ، فإنّه في الباطن كلّ جمال جلال ، وكلّ جلال جمال. إلّا أنّ الجمال يشير إلى الكمال ، والجلال ينزّه الذات عن شوائب النقس والعدم والزوال.

ثمّ أسماء الجلال باعتبارٍ، تنقسم إلى أسماء الجبروت وأسماء العظموت، فإنّ الله عندما يتجلّى في جبروته يظهر في غاية هيبته ، فيتحيّر الإنسان في حضرته ، وإذا تجلّى بعظموته ، فإنّه يظهر في اسميه (الحيّ) و(القيّوم) ويلزمهما مقام (فناء الفناء) ثمّ (بقاء البقاء).

وقيل : وإن كان الاسم في الأعيان الثابتة والأعيان الخارجيّة ، فهو عين

المسمّى ، وإن كان في المرتبة الظاهرة في عالم الألفاظ والذي يسمّى بـ(اسم الاسم الاسم) فهو غير المسمّى فإنّه لفظ يدلّ على المعنى والمسمّى.

واختلاف وضع الأسماء أنّها توقيفيّة متوقّفة على إذن من الشارع أو غيرها، إنّما عند المتكلّمين والفقهاء في الأسماء اللفظيّة ، وعند العرفاء في الأسماء العينيّة ، فقالوا: بين الاسم والمسمّى عند أهل الحقيقة مناسبة جامعة ، فمقام الأحديّة والهويّة الغيبيّة واللّاتعيّنية بلا اسم ولا رسم ، ولا قيد حتّى من عدم القيد، وتجلّيات الذات إن كان بالنسبة إلى الذات فأسماء الصفات ، وإن كان بالنسبة إلى غيره فأسماء الأفعال ، وتسمّى بالأسماء التكوينيّة أيضاً، وهي الحقائق العينيّة لمظهورات الهويّة المطلقة الغيبيّة ، والأسماء التكوينيّة إنّما هي ظهورات للأعيان الثابتة ، فتكون اسم الاسم ، كما أنّ الأعيان الثابتة اسم الذات ، فكلّ ظهور متوقّف على ظهور آخر فهذا معنى التوقيفي عند العرفاء، والسالك إلى الله إنّما يدعو ربّه بأسمائه ، كلٌّ بحسب ظهوره ، فإذا أراد شفاء المريض يدعو الله باسم (الشافي) (المعافي) (الطبيب) لا بما يدلّ على قهّاريّة الله وانتقامه ، فمظاهر أسماء الجمال واللطفيّة تختلف عن مظاهر أسماء الجلال والقهّاريّة ، فتدبّر، فإنّه يختلف الذكر باختلاف حال الذاكر ومقامه.

عدد أسماء الله الحُسنى

وأمّا تعداد أسماء الله الحسنى فاختلفت الروايات فيه، فمنها ما دلّ على أنّها تسعة وتسعين من دون اسم الجلالة كما ورد في القرآن الكريم، إلّا أنّه ورد في القرآن ١٣٢ اسم، وفي بعض الروايات تذكر ٣٦٠ اسماً، وفي بعضها ألف اسم، وفي طائفة أربعة آلاف اسم.

وقال العلّامة الطباطبائي في تفسيره: لا دليل في الآيات الكريمة على تعيّن عدد أسماء الحسنى تتعيّن به، بل ظاهر قوله (اللهُ لا إِلَهَ إلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى)(١)، وقوله: (وَللهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا)(٢)، وقوله: (لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)(٣)، وأمثالها من الآيات أنّ كلّ اسم في الوجود هو أحسن الأسماء في معناها، فهو له تعالى، فلا تحدّ أسماء الحسنى بمحدّد(٤).

ولمّا كانت التجلّيات الإلهيّة في مقام الذات والصفات والأفعال بلا نهاية، كانت الأسماء الحسنى كذلك بلا نهاية، ما دامت تحكي عن كمال من كمالات الله، بلا شائبة نقص.

---

(١) الأعراف: ١٨٠.
(٢) الحشر: ٢٤.
(٣) الميزان: ٨ ٣٧٣.
(٤) ذكر في القرآن الكريم مرّة واحدة.

نعم، لمّا لا علم لنا بكمالات الله ولا إحاطة لنا بمخلوقات الله من الراجح الموافق للاحتياط أن يكتفى بما ورد في القرآن الكريم، وعلى لسان المعصومين : فإنّهم أهل الدار، وهم أعرف بما في الدار.

وما ورد في القرآن الكريم ١٣٢ اسماً من دون اسم الجلالة (الله) وهي كما يلي :

الألف : الإله، الأحد (١)(١) ، الأوّل، الآخر (٦٢)، الأعلى، الأكرم، الأعلم (٤٨)، أرحم الراحمين، أحكم الحاكمين، أحسن الخالقين (٢)، أسرع الحاسبين (١)، أهل التقوى، أهل المغفرة، الأقرب (٢) والأبقى (٧).

الباء: البارئ، الباطن، البديع (٢)، البرّ (١) والبصير (٤٢).

التاء: التوّاب (١١).

الجيم : الجبّار (١) والجامع(٢).

الحاء: الحكيم (٩٠)، الحليم (١١)، الحيّ (٥)، الحقّ (٣٣٧)، الحميد (١٦)، الحسيب (٣)، الحفيظ (٣) والحفيّ (١).

الخاء: الخبير (٤٢)، الخالق (٩)، الخلّاق (٢)، الخير (٦)، خير الماكرين (٢)، خير الرازقين (٥)، خير الفاصلين، خير الحاكمين (٣)، خير الفاتحين (١)، خير الغافرين (١)، خير الوارثين (١)، خير الراحمين (٢)، خير الناصرين (١)، خير المنزلين (١).

الذال : ذو العرش (٢)، ذو الطول (١)، ذو انتقام (٤)، ذو الفضل العظيم (٦)، ذو الرحمة (٢)، ذو القوّة، ذو الجلال والإكرام (٢)، ذو المعارج (١).

الراء: الرحمن (٥٦)، الرحيم (٢٢٨)، الرؤوف (١١)، الربّ (٩٧)، ربّ

---

(١) الحجر: ٩.

العـرش (٦)، رفيـع الدرجـات (١)، الـرزّاق (١)، الرقيـب (٣).

السين : السميع (٤٤)، السلام (١)، سريع الحساب (٨)، سريع العقاب (٢).

الشين : الشـهيد (٢٠)، الشـاكر (٢)، الشـكور (٤)، شـديد العـذاب (١)، شـديد العقـاب (١٤)، شـديد المحـال (١).

الصاد: الصمد (١).

الظاء: الظاهر (١).

العيـن : العليـم (١٣٧)، العزيـز (٨٨)، العفـوّ (٥)، العلـيّ (٩)، العظيـم (١٤)، عـلّام الغيـوب (٤)، عالـم الغيـب والشـهادة (١٠).

الغين : الغنيّ (١٨)، الغفور (٩٠)، الغالب (١)، غافر الذنب (١)، الغفّار (٥).

الفاء: فالق الإصباح (١)، فالق الحبّ والنوى (١)، الفاطر (٦)، الفتّاح (١).

القـاف : القـويّ (٧)، القـدّوس (٢)، القيّـوم (٣)، القاهـر (٢)، القهّـار (٦)، القريـب (٣)، القـادر (١٢)، القديـر (٤٥)، قابـل التـوب (١)، القائـم علـى كلّ نفسٍ بمـا كسـبت (١).

الكاف : الكبير (٨)، الكريم (٤)، الكافي (١).

اللام : اللطيف (٧).

الميـم : الملـك (٤)، المؤمـن (١)، المهيمـن (١)، المتكبّـر (١)، المصـوّر (١)، المجيـد (٢)، المجيـب (١)، المبيـن (١)، المولـى (٩)، المحيـط (٥)، المقيـت (١)، المتعـال (١)، المحيـي (٢)، المتيـن (١)، المقتـدر (٤)، المسـتعان (٢)، المبدئ (١٠)، مالـك الملـك (١)، المعيـد (١٣).

النون : النصير (١١)، النور (١).

الـواو: الوهّـاب (٣)، الواحـد (٢١)، الولـيّ (٢٤)، الوالـي (١)، الواسـع (٨)،

الوكيل (١٣)، الودود (٢).

الهاء: الهادي (١٠).

ولا يخفى أنّ من أسماء الله في القرآن الكريم ما لم يذكر صريحاً، وهي في عشرة موارد كما يلي :

١ ـ (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)(١) يستخرج منه (الحافظ).

٢ ـ (إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)(٢) ويستخرج منه (الفاعل).

٣ ـ (فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ)(٣) يستخرج منه (الفعّال ـ فعاّل لما يريد).

٤ ـ (قَائِماً بِالقِسْطِ)(٤) يستخرج منه (القائم = القائم بالقسط).

٥ ـ (وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ)(٥) يستخرج منه (الكاتب).

٦ ـ (وَنَحْنُ الوَارِثُونَ)(٦) يستخرج منه (الوارث).

٧ ـ (وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ)(٧) يستخرج منه (الوالي).

٨ ـ (إِنَّا مُنتَقِمُونَ)(٨) يستخرج منه (المنتقم).

٩ ـ (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ)(٩) يستخرج منه (الوليّ) و(الشفيع).

---

(١) الأنبياء: ١٠٤.

(٢) هود: ١٠٧.

(٣) آل عمران : ١٨.

(٤) الأنبياء: ٩٤.

(٥) الحجر: ٢٣.

(٦) الرعد: ١١.

(٧) الدخان : ١٦.

(٨) الأنعام : ٧٠.

(٩) الأنعام : ١٧.

١٠ ـ (فَلا كَاشِفَ لَهُ إلاَّ هُوَ)(١) يستخرج منه (كاشف الضرّ = الكاشف).

وذهب الفقهاء وأكثر المتكلّمين إلى عدم جواز استعمال هذه الأسماء المستخرجة لتوقيفيّتها على إذن من الشارع ، فلا تطلق على الله إلّا إذا ورد في الروايات والأدعية المأثورة عن المعصومين :.

وممّا يدلّ من الروايات الشريفة على أنّ أسماء الله الحسنى لا تنحصر بتسعة وتسعين اسماً كما في بعض الروايات الواردة عند الفريقين ـ السنّة والشيعة ـ بل تزيد على ذلك ، ما ورد عن الإمام الصادق ٧ قال : إنّ الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير متصوّت باللفظ غير منطق ، وبالشخص غير مجسّد، وبالتشبيه غير موصوف ، وباللون غير مصبوغ ، منفيّ عنه الأقطار، ومبعد عنه الحدود، محجوب عنه حسّ كلّ متوهّم ، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامّة على أربعة أجزاء معاً، ليس منها واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، ويحجب منها واحداً وهو الاسم المكنون المخزون ، فهذه الأسماء التي ظهرت ، فالظاهر هو (الله) تبارك وتعالى وسخّر سبحانه لكلّ اسم من هذه الأسماء أربعة أركان ، فذلك اثنى عشر ركناً، ثمّ خلق لكلّ ركن منها ثلاثين اسماً فعلا منسوباً إليها، فهو الرحمن الرحيم ، الملك القدّوس ، الخالق البارئ ، المصوّر الحيّ القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، العليم ، الخبير، السميع ، البصير، الحكيم ، العزيز، الجبّار على المتكبّر، العليّ، العظيم ، المقتدر، القادر، السلام ، المؤمن ، المهيمن (البارئ) المنشئ ، البديع ، الرفيع ، الجليل ، الكريم ، الرازق ، المحيي ، المميت ، الباعث والوارث. فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى

---

(١) الإسراء: ١١٠.

حتّى تتمّ ثلاث مائة وستّين اسماً، فهي نسبةً لهذه الأسماء الثلاثة، وهذه الأسماء الثلاثة أركان وحجب الاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة، وذلك قوله تعالى: (قُلِ ٱدْعُوا اللهَ أَوِ ٱدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى)(١) (٢).

وروي عن النبيّ ٩ أنّه قال: إنّ لله تعالى أربعة آلاف اسم، ألف لا يعلمها إلّا الله، وألف لا يعلمها إلّا الله والملائكة، وألف لا يعلمها إلّا الله والملائكة والنبيّون، وأمّا الألف الرابع فالمؤمنون يعلمونه، ثلاثمائة منها في التوارة وثلاثمائة في الإنجيل وثلاثمائة في الزبور، ومائة في القرآن، تسعة وتسعون ظاهرة، وواحد مكتوم، من أحصاها فله الجنّة(٣).

ولا يبعد أن يكون المراد من تسعة وتسعين هو نوع الأسماء لا خصوص فرديّتها، فتدخل الأسماء الأُخرى تحت هذه الأسماء، والله العالم بحقائق الأُمور، ثمّ إذا أردت أن تعرف الألف من الأسماء، فراجع دعاء جوشن الكبير في مفاتيح الجنان. والاسم المأثور المكنون في علم الله الذي لا يعلمه إلّا هو، إنّما هو الجامع لكلّ الأسماء، وظهور ذلك الاسم المكنون يكون في اسم الجلالة (الله) جلّ جلاله.

وقد ورد في القرآن الكريم في (٩٨٠) موضعاً، وقد استعمل في العصر الجاهلي كما في شعر لبيت الشاعر المعروف :

ألا كلّ شيءٍ ما خلال الله باطلُ　　　وكلّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

قال رسول الله ٩: أصدق شعر قالته العرب، وقيل بسريانيّة اللفظ، وذهب

---

(١) أُصول الكافي :١ ٨٧.

(٢) غوالي اللالئ :٤ ١٠٦.

(٣) مريم : ٦٥.

المشهور إلى عربيّته ، وقيل كونه جامداً، والمشهور أنّه من المشتقّات، واختلفوا في جذور اشتقاقه ، فقيل : من (أله) بمعنى المألوه أي (المعبود) فإنّه يستحقّ العبادة دون غيره (فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً)(١). وقيل : مشتقّ من (وَلَه) بمعنى (الحيرة) إذ يتحيّر فيه ذوي الألباب ، وقيل : بمعنى (الحبّ الشديد) فإنّه المحبوب لكلّ خلقه في عالم التكوين فتعشقه الكائنات في سيرها إليه. وقيل : مشتقّ من (لاهَ) بمعنى (المرتفع) لارتفاعه عن خلقه، وقيل : بمعنى (المحتجب) لاحتجابه عن الأوهام.

ثمّ مظهر هذا الاسم الجامع الجمع هو الإنسان الكامل والذي اصطلح عليه أخيراً بالحقيقة المحمّديّة التي تسري في كلّ الظهورات والتجلّيات لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وهذا من سرّ الأسرار، ولا يقف عليه إلّا من اصطفاه الله للعلم والمعرفة.

ورد في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليّ ٧ قال : أوّلنا محمّد، أوسطنا محمّد، آخرنا محمّد، كلّنا محمّد)(٢) ففي الحقيقة النوريّة كلّهم نور واحد مشتقّ من الواحد الأحد جلّ جلاله.

جعلنا الله وإيّاكم من العارفين بالله العالمين بأسمائه وصفاته ، والفانين في إرادته ومشيّته وحبّه ، الباقين في حضرته القدسيّة ، نمرح في جنّة الأسماء، ورياض الصفات ، وبساتين الأفعال ، والله المستعان.

جاء في مناجاة العارفين لمولانا وجدّنا الإمام زين العابدين ٧ «إلهي قصرت الألسن عن بلوغ ثنائك كما يليق بجلالك ، وعجزت العقول عن

(١) بحار الأنوار :٢٧ ٧.

(٢) مفاتيح الجنان : المناجاة الخامسة عشر (مناجاة العارفين).

إدراك جمالـك ، وانحصـرت الأبصـار دون النظـر إلـى سـبحات وجهـك ، ولـم تجعـل للخلـق طريقـاً إلـى معرفتـك إلّا بالعجـز عـن معرفتـك »(١).

(١) مجموعة مقالات إسلاميّة نشرت في أعداد من صحيفة (صوت الكاظمين) الشهريّة.

جلال الله وجماله(١)

إنّ الله سبحانه وتعالى واحدٌ أحد، فردٌ صمد، لا ثاني له ولا تركيب فيه، لا يشاركه أحد في مقام أحديّته، فإنّه من الغيب المطلق ومطلق الغيب، فلا يعلم ما هو إلّا هو جلّ جلاله، وأمّا في مقام واحديّته فإنّه خلق الإنسان من نفس واحدة ليكون مظهراً ومرآةً له، فهو يحكي ربّه وصانعه وبارئه ومصوّره في روحه وروحانيّته وخلقته النورية والملكوتية، فهو لاهوتي الروح وناسوتي الجسد (خلقه من تراب) (ونفخت فيه من روحي) فصورته الإنسانية أكبر الحجج وأتمّ البراهين، ومن أعظم شواهد الصنع الإلهي.

إنّ الإنسان يتنزّل في قوسه النزولي من عرش واحديّته ليتكثّر في خلق الله عزّ وجلّ، فخلق الله من تلك النفس الواحدة التي كانت مظهراً لواحديّته زوجها، لتكون الزوجيّة شاهداً وبيّنة تكوينية على صحّة دعواه في فردانيّته وصمديّته وأحديّته وواحديّته المطلقة.

فالإنسان الكامل جامع الجمع هو الصادر الأوّل من ربّه، يدلّ على أنّه الواحد ـ كما يدلّ عليه قاعدة الواحد في الفلسفة ـ وقد انشقّ إلى نصفين ليكون كلّ نصف مظهراً لصفاته جلّ جلاله، فإنّها تنقسم إلى جلالية وجمالية ـ سلبية وثبوتية ـ وجمعهما هو الكمال، ويتكوّن منهما الذات الكمالية، فإنّ الله

(١) البحار: ٤ : ١٥١.

عزّ وجلّ هو الكمال المطلق ومطلق الكمال، وخلق الإنسان الكامل (العقل أو الرسول الأعظم أو الروح النبويّة أو الحقيقة المحمّدية، وكلّها تجلّيات لحقيقة واحدة وهي النفس الإنسانية الملكوتية اللاهوتية) ليكون حجّته في خلقه، وليصبح قطب عالم الإمكان، ومحور الزمان والمكان.

انشقّت النفس الإنسانية إلى نصفين وتمثّلت بالرجل والمرأة، ليكون الرجل مظهراً لقوّة الله وقدرته وجلاله ولتكون المرأة مرآة للطف الله وشفقته وجماله، وأتمّ مصداق لجلال الله أمير المؤمنين عليّ ٧ والجلال ما فيه الحدود، والفقه حدود الله، ولو كان الفقه شخصاً لكان عليّ بن أبي طالب، فعلي جلال الله (ولو كان الحسن شخصاً لكانت فاطمة بل هي أعظم)، فحسن الله وجماله يتبلور بفاطمة الزهراء ٣، فهي جمال الله... ثمّ عليّ ٧ نفس النبيّ (لآية المباهلة، ولحديث عليّ منّي وأنا من عليّ)، وفاطمة ٣ روح النبيّ لقوله ٩: (فاطمة روحي التي بين جنبي) فالنبيّ جمع بين الجلال والجمال ليكون كمال الله سبحانه.

والأحكام الشرعيّة الفقهية منها تختصّ بالرجال كالإمامة والمرجعيّة لتحكي جلال الله، ومنها تختصّ بالنساء كأحكام الدماء الثلاثة لتحكي أُنوثة المرأة وجمالها، ومنها يشترك فيها الرجال والنساء وهي أحكام الكمال، وبكلّها يتقرّب الإنسان إلى ربّه قاب قوسين أو أدنى في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وبالولاء والبراءة ينال الإنسان مقام الولاية، وإنّ بابها مفتوح لكلّ سالك وسائر إلى ربّه من الرجال والنساء فهم سواء في مقام التربية والتعليم، ولا فخر لأحدهما على الآخر إلّا بالإيمان والعمل الصالح (إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم).

وإنّما نرى أمير المؤمنين عليّ ٧ جلال الله إذ لم يكن في الخلق من مثله يتجلّى فيه ربّه ويظهر، حتّى قال عنه المسيحي جورج جرداق (صوت العدالة الإنسانية) فإنّ الإنسانية تعني من آدم إلى الخاتم وإلى يوم القيامة فصوت عدالتها في كلّ الأعصار والأمصار هو عليّ بن أبي طالب ٧، كما يشهد على عظمته سيرته وتاريخه المشرق وما ورد في مقامه وفضله من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ، وكذلك يجري الكلام في سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء ٣، فلسنا نغالي فيهما وفي ذريتهما الأئمة الأطهار :.

وإذا كان النبيّ الأعظم محمّد ٩ هو كمال الله وجلاله وجماله ، فإنّ سيّد الشهداء الإمام الحسين ٧ كذلك ، فهو نفس النبيّ بقوله ٩: (حسين منّي وأنا من حسين)، وكذلك الأئمة من بعده ، فكلّهم نور واحد، أوّلهم محمّد، أوسطهم محمّد، آخرهم محمّد :، لا فرق بينهم وبين ربّهم في مقام الواحدية، إلّا أنّهم عباده المكرمون في مقام الأحديّة ، فمن عرفهم فقد عرف الله، ومن أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله، فطاعتهم مفروضة وولايتهم واجبة ، بهم فتح الله وبهم يختم ، وبهم يمسك السماوات أن تقع على الأرض ، وبهم ينزل الغيث ، وإليهم يتوجّه أولياء الله، ومن مات ولم يعرفهم فقد مات ميتة الجاهلية ، ميتة الكفر والشرك.

اللهمّ عرّفنا نفسك ورسولك وحججك... إلهي أدخلني في لجّة بحر أحديّتك وطمطام يمّ وحدانيّتك...

عظمة الإنسان

العظمة كلّ العظمة لله سبحانه وتعالى فهو العظيم الأعظم. ويدلّ على عظمته ما سواه من خلقه وكائناته، فما أروع النظم الدقيق في العالم التكويني، فإنّه ممّا يبهر العقول، ويحيّر ذوي الألباب، ويدهش أُولي النُّهى، فمن ذرّة لا ترى بالأبصار إلى مجرّات تعجز عن تصوّرها الأفكار. وما بينهما من العجائب والآثار. كلّها تخبر وتنبئ عن جميل صنع الخبير القهّار المتعال الجبّار الكبير الغفّار، جلّت عظمته وعلا شأنه، وعمّت نوائله.

ومن عظمة الله وبديع صفته خلقة الإنسان الذي انطوى فيه العالم الأكبر، فقد غدا الفكر في أُعجوبته كليلا، وقد تبلبلت العقول وتحيّرت ذوي الألباب في صنعه وبديع خلقته، ويكفيه عظمةً أنّه تمدّح بخلقه، بارئه ومصوّره وصانعه قائلا سبحانه: (فتبارك اللهُ أحسنَ الخالقين).

وقد نفخ فيه من روحه ليكون خليفته في كائناته، وحجّته في خلقه، ومرآة لأسمائه، ومظهراً لصفاته... وليفنى فيه، وليبقى به.

فما أعظمك أيّها الإنسان ؟!... وكيف جهلت مقامك الشامخ ومنزلتك الرفيعة وهبطت من عليائك وملكوتك وقدسك وعزّتك وسعادتك وكرامتك إلى وادي الشقاء وبيداء التعاسة والعناء وحضيض الجهل والخواء، فنسيت نفسك ونسيت ربّك.

أوَ تدري أنّ الله كرّمك بالحرّيّة والاختيار، بل أعطاك من القدرة والعلم أن جعلك صاحب تسخير، فتسخّر ما في السماوات والأرض.

فما أعجبك أيّها الإنسان فإنّك كنت روح الله في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، وتمرح في جنّة الأسماء الحسنى وفردوس الصفات العلياء، يفاض عليك العلم والقدرة والحياة ، وكان قلبك عرش الرحمن وحرم الله المقدّس، فهبطت إلى الدنيا الدنيّة وتلبّست بظلمها وظلامها حتّى قال الخالق جلّ جلاله :(وكان الإنسان ظلوماً جهولا).

وإنّ (الإنسان لفي خسر).

وكان (كالأنعام بل أضلّ).

وقلبه (كالحجارة بل أشدّ قسوة)...

إيه إيه أيّها الإنسان أوَتدري مالك من الجلال والجمال ، فإنّ الله قد أعطاك القدرة والكمال حتّى منحك القدرة ، ووهبك الاستطاعة ، بأن تغيّر ما كتبه سبحانه وتعالى في لوح المحو والإثبات ، فمن كرتك الأرضيّة تستطيع أن تعدّل ما كُتب في السماء وفي جبهة الملائكة ، ذلك بقضاء وقدر من ربّك العظيم ، فما غرّك بربّك الكريم..

أتزعم أنّك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبرُ

أيّها المؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر: لقد أفاض الله عليك قدرة وقوّة تتصرّف بها في العوالم العلويّة والمنازل السماويّة ، فتمحو الآجال المعلّقة بقولك الحسن وفعلك الصالح وعملك الطيّب ، وتبدّل النار بالجنّة، كما فعل الله بخليله ونبيّه إبراهيم ٧ في نار نمرود، فجعلها برداً وسلاماً، فإنّك بدعائك وكلمتك الطيّبة وصدقتك الخالصة تطفئ غضب الله وناره ،

وتبدّلها بالجنّة : «عبدي أطعني حتّى أجعلك مثلي أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون»، فتبدّل الشقاء بالسعادة ، والشرّ بالخير، والسواد بالبياض ، والرذائل بالفضائل...

فما أعظمك أيّها الإنسان فقد هداك الله النجدين ، وإنّك بالخيار.. فإمّا شاكراً، وإمّا كفوراً، إمّا أن تكون في أعلى علّيّين تخدمك الملائكة وحور العين ، وإمّا أن تكون في أسفل السافلين في نار جهنّم الموصدة التي تطّلع على الأفئدة أعاذنا الله وإيّاكم منها ومن فتنتها وأسبابها.

فاعرف قدرك أيّها الإنسان ، فطوبى لمن عرف قدر نفسه ، فلا تضيّعها بالقيل والقال واتّباع الشهوات والأهواء، والانحراف عن الصراط المستقيم ، فجاهد في الله حقّ جهاده ، فإنّه الهادي للصواب.

(والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا).

(ربّنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).

في رحاب أسماء الله وصفاته

اعلم أنّ الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً أنْ يقول له (كن فيكون)، فما سواه إنّما هو كلماته التي نطق بها في عالمي الأمر والخلق، وفي العوالم الملكوتيّة والملكيّة، أي العوالم الثلاثة المجرّدة يعني عالم الذات وعالم اللاهوت وعالم الصفات وهو الجبروت وعالم الأفعال وهو الملكوت وأمّا العالم المُلكي فهو عالم الناسوت. فما سوى ذات الله سبحانه فهو كلماته، وأنّ عيسى بن مريم كان من كلماته الحسنى. وأنّ كلمته العليا السارية في الكلمات كلّها هي الحقيقة المحمّديّة.

و(قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مدداً).

(سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله).

وإنّ من أعظم كلمات الله العليا محمّد وآل محمّد :.

قال الإمام الهادي ٧: نحن الكلمات التي لا تدرك فضائلها ولا تستقصى.

ثمّ لله الأسماء الحسنى والصفات العليا، والاسم الظاهر إنّما وضع للمسمّى وللمعنى، وهو غير المسمّى، خلافاً للأشاعرة القائلين بأنّ الاسم هو عين المسمّى ،وهو مردود كما هو ثابت في محلّه، والمراد من الأسماء ما دلّ على الذات من غير ملاحظة صفة، ومن الصفات ما يدلّ على الذات

متّصفاً بصفة ، وعندنا الأسماء مخلوقات ، كما أنّ الصفات هي المعاني.

عن هشام بن الحكم قال : سألت أبا عبد الله ٧ عن أسماء الله عزّ ذكره واشتقاقها فقلت : (الله) ممّا هو مشتقّ ؟ قال : يا هشام (الله) مشتقّ من إله ، وإله يقتضي مألوهاً، والاسم غير المسمّى ، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد كفر ـ فقد أشرك ـ وعبد اثنين ، ومن عبد المعنى دون الاسم فذلك التوحيد.

أفهمت يا هشام ؟ قال : فقلت : زدني. فقال : إنّ لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماً ـ في كتاب الله ـ فلو كان الاسم هو المسمّى لكان كلّ اسم منها إلهاً، ولكنّ الله معنى يدلّ عليه بهذه الأسماء وكلّها غيره ، يا هشام ، الخبز اسم للمأكول ، والماء اسم للمشروب ، والثوب اسم للملبوس ، والنار اسم للمحرق ، أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل أعداءنا والمتّخذين مع الله عزّ وجلّ غيره ؟ قلت : نعم ، قال : فقال : نفعك الله به وثبّتك. قال هشام : فوالله ما قهرني أحد في علم التوحيد حتّى قمت مقامي هذا.

عن أبي عبد الله الإمام الصادق ٧ قال : من عبد الله بالتوهّم فقد كفر، ومن عبد الاسم ولم يعبد المعنى فقد كفر، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي يصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرّ أمره وعلانيته ، فأُولئك أصحاب أمير المؤمنين ٧.

وفي حديث آخر: أُولئك هم المؤمنون حقّاً(١).

فالاسم أصل مشتقّ من (وَسِمَ) أي السمة والعلامة فتدلّ على ذات ، وأنّها

---

(١) الروايات من بحار الأنوار: ٤ ٢١١.

غير الذات ، والأسماء الإلهيّة مضافة لله سبحانه وهذا هو التوحيد الخالص ، فللّه الأسماء الحسنى فادعوه بها.

(قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى).

ثمّ أسماء الله توقيفيّة ـ كما هو المشهور عند علمائنا الأعلام ـ متوقّفة على إذن من الشارع المقدّس يورده في كتاب الله أو لسان أنبيائه :.

واسم الجلالة (الله) هو الاسم الأعظم الذي يدلّ على كنه الذات مع جميع الصفات الجماليّة والجلاليّة والكماليّة ، فترجع إليه جميع الأسماء، ثمّ ينوبه اسم (الربّ) فالله سبحانه اسم علمٍ وضع للذات المستجمع لجميع صفات الكمال من الجمال : الصفات الثبوتيّة الذاتيّة والفعليّة ، والجلال : الصفات السلبيّة والتنزيهيّة. وكلّ اسم من أسمائه غير الجلالة ، يدلّ على صفة من صفاته المقدّسة فأيّاً ما تدعو به فهو حسن ، إلّا أنّ لكلّ اسم وصفة أثر خاصّ كما سيعلم ، ثمّ لا يجوز مسّ اسم الجلالة وغيرها من أسماء الله فيما قصد به الله سبحانه من دون الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر ومن الخبث، فلا يمسّها إلّا المطهّرون في الظاهر والباطن ، ولا يصل إلى حقائقها ومعانيها وآثارها النورانيّة والروحانيّة إلّا من كان متطهّراً من الذنوب والآثام والصفات الذميمة والأخلاق السيّئة ، فهذّب نفسه ، وصفّى قلبه ، وشرح صدره، وأخلص عمله ، واستنار بنور الله، واتّبع كتابه ونبيّه ، ونهج منهج الصالحين ، وسلك مسلك العارفين ، ونحى منحى المتّقين ، وعبد ربّه حتّى أتاه اليقين ، وحينئذٍ تفتح له أبواب معرفة أسماء ربّ العالمين.

أسماء الله الحسنى

عن الإمام الصادق ٧ عن آبائه عن أمير المؤمنين عليّ : قال : قال رسول الله ٩ : إنّ لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماً مائة إلّا واحدة من أحصاها دخل الجنّة ، وهي :

الله، الإله ، الواحد، الأحد، الصمد، الأوّل ، الآخر، السميع ، البصير، القدير، القاهر، العليّ، الأعلى ، الباقي ، البديع ، البارئ ، الأكرم ، الظاهر، الباطن ، الحيّ، الحكيم ، العليم ، الحليم ، الحفيظ ، الحقّ ، الحسيب ، الحميد، الحفيّ، الربّ ، الرحمن ، الرحيم ، الذارئ ، الرازق ، الرقيب ، الرؤوف ، الرائي، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز، الجبّار، المتكبّر، السيّد، السبّوح، الشهيد، الصادق ، الصانع ، الطاهر، العدل ، العفوّ، الغفور، الغنيّ، الغياث ، الفاطر، الفرد، الفتّاح ، الفالق ، القديم ، الملك ، القدّوس ، القويّ، القريب ، القيوم، القابض ، الباسط ، قاضي الحاجات ، المجيد، المولى ، المنّان ، المحيط، المبين ، المقيت ، المصوّر، الكريم ، الكبير، الكافي ، كاشف الضرّ، الوتر، النور، الوهّاب ، الناصر، الواسع ، الودود، الهادي ، الوفي ، الوكيل ، الوارث، البرّ، الباعث ، التوّاب ، الجليل ، الجواد، الخبير، الخالق ، خير الناصرين ، الديّان ، الشكور، العظيم ، اللطيف ، الشافي.

قال الصدوق عليه الرحمة : معنى قول النبيّ ٩ : «لله تبارك وتعالى تسعة

وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنّة ». إحصاؤها هو الإحاطة بها، والوقوف على معانيها، وليس معنى الإحصاء عدّها، وبالله التوفيق.

ولكن أرى أنّ معنى الإحصاء ليس معرفة المعاني وحسب بل تمثّل وتجسّد هذه المعاني في وجود الإنسان والتخلّق بأخلاق الله وصفاته العليا وأسمائه الحسنى ، فإذا كان الله كريماً فإحصاء كرمه أن تتجلّى وتتبلور في العبد الكرم الإلهي وهكذا باقي الأسماء إلّا ما خرج بالدليل كالمتكبّريّة فإنّ لله الكبرياء وأنّه ورد في الحديث القدسي : (الكبرياء ردائي فمن نازعني فيه أكببته على وجهه في النار) فهو المتكبّر حقّاً كما هو الأوّل الأزلي إذ لا أوّل له وليس كمثله شيء سبحانه وتعالى.

وهذه الأسماء لورودها في القرآن الكريم سمّيت بالأسماء الحسنى ، ولله أربعة آلاف اسم ، كما ورد في الخبر النبوي الشريف :روي عن النبيّ ٩ أنّه قال : إنّ لله أربعة آلاف اسم ، ألف لا يعلمها إلّا الله، وألف لا يعلمها إلّا الله والملائكة ، وألف لا يعلمها إلّا الله والملائكة والنبيّون ، وأمّا الألف الرابع فالمؤمنون يعلمونه ، ثلاثمائة منها في التوراة وثلاثمائة في الإنجيل ، وثلاثمائة في الزبور، ومائة في القرآن ، تسعة وتسعون ظاهرة ، وواحد منها مكتوم ، من أحصاها دخل الجنّة.

وفي هذه الأسماء الاسم الأعظم وهو إمام الأسماء وأنّه على ثلاثة وسبعين حرفاً كما ورد في الأخبار الشريفة.

عن جابر عن أبي جعفر ٧ قال : إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنّما عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس ، ثمّ تناول السرير بيده ، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع

من طرفة عين ، وعندنا نحن من الاسم اثنين وسبعين حرفاً، وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب عنده ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

وعلمهم من علم رسول الله، فما الاسم الأعظم عندهم إلّا من جدّهم ٩.

عن أبي عبد الله ٧ قال : إنّ الله عزّ وجلّ جعل اسمه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، فأعطى آدم منها خمسة وعشرين حرفاً، وأعطى نوحاً منها خمسة وعشرين حرفاً، وأعطى منها إبراهيم ثمانية أحرف ، وأعطى موسى منها أربعة أحرف ، وأعطى عيسى منها حرفين ، وكان يحيي بهما الموتى ويبرئ بهما الأكمه والأبرص ، وأعطى محمّداً اثنين وسبعين حرفاً، واحتجب حرفاً لئلّا يعلم ما في نفسه ويعلم ما في نفس العباد(١).

---

(١)

خلافة الإنسان لأسماء الله

لقد ذكرنا: إنّ أسماء الله توقيفيّة متوقّفة على إذن من الشارع المقدّس بما جاء في القرآن الكريم أو لسان المعصومين من الأنبياء والأوصياء :، ولله أسماء ما عرّفنا الله بها فإنّها من الاسم المستأثر في علمه كما جاء في دعاء النبيّ الأكرم محمّد ٩: (اللهمّ إنّي أسألك بكلّ اسمٍ سمّيت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك).

ثمّ إنّ الأسماء الإلهيّة وإن كثرت سواء ما عرف منها وما لم يعرف على ثلاث مراتب :

منها: ما يدلّ على الذات ، مثل الأوّل والآخر، وما أشبه ذلك.

ومنها: ما يدلّ على الصفة ، كالعليم والقادر، وما أشبه ذلك.

ومنها: ما يدلّ على الفعل ، كالخالق والرازق ، وغير ذلك.

وربما تكون للأسماء مرتبتان أو ثلاثة بحكم الاشتراك كاسم الربّ فإنّه بمعنى (الثابت) فيكون اسماً للذات ، وبمعنى (المصلح) فيكون اسماً للفعل، وبمعنى (المالك) فيكون للصفة. والربّ في الأصل ـ باللغة ـ وضع لمعانٍ خمس : الثابت والمصلح والسيّد والمالك والمربّي ، ويوصف الله بهذه المعاني كلّها فهو ربّ العالمين. وقد أقسم الله في كتابه الكريم بهذا الاسم المبارك دون الأسماء الأُخرى في خمسة مواضع ، كقوله تعالى :

(فلا وربّك لا يؤمنون).

(فوربّك لنسألنّهم أجمعين).

(فوربّك لنحشرنّهم والشياطين).

(فوربّ السماء والأرض).

(فلا أُقسم بربّ المشارق والمغارب).

وفي هذا القسم أسرار ولطائف ، فإنّ اسم الجلالة (الله) له المرتبة المهيمنة على الأسماء كلّها فإنّه دليل الذات والصفات والأفعال وإليه ترجع الأسماء الحسنى والصفات العليا، ويليه في المرتبة اسم (الربّ) فمرتبة الربوبيّة بعد مرتبة الأُلوهيّة فأقسم الله به دون غيره من الأسماء.

ثمّ الإنسان الكامل والمسمّى بلسان العرفاء جامع الجمع استخلف الله الربّ في أسمائه وصفاته دون ذاته المطلقة التي لا تدركها الأبصار في الدنيا والآخرة ، ولا العقول بأفكارها وتصوّراتها، والعجز عن درك الإدراك إدراك. فجمع بين الحقائق العلويّة والسفليّة وانطوى فيه العالم الأكبر من الطبيعة وما وراءها من المجرّدات ، فصحّت خلافته عن ربّه دون غيره في كلّ العوالم ، فكان حجّة الله على الكلّ ، وكان إمامهم ، فغناءه عن الكلّ واحتياج الكلّ إليه دليل على أنّه إمام الكلّ في الكلّ ، وأنّه أوّل مخلوق في الكون ، كما أنّه آخر مخلوق فيه ، فهو روح العالم ، وإنّ الدنيا باقية ما دام الإنسان فيها، فمن أجله تتكوّن الكائنات وتتسخّر المسخّرات ، وإذا انتقل إلى الدار الأُخرى مارت السماوات وسارت الجبال ودكّت الأرضين وانتثرت النجوم وكوّرت الشموس، فذهبت الدنيا لتقوم العمارة في الأُخرى بنقل الخليفة إليها، وبهذا تقف على عظمة الإنسان الكامل والذي هو الحقيقة المحمّديّة ، وتعرف

مرتبته على غيره من العوالم ، وأنّه المعنى الكلّي المقصود، فلولاه لما كانت الأفلاك وما فيها ومن فيها. فيقسم الله بربوبيّته له (فوربّك)، (فلا وربّك) وكاف الخطاب لرسول الله محمّد ٩ الإنسان الكامل والذي حقيقته سرت في الكون كلّه ، فكان ٩ نبيّاً، وآدم بين الماء والتراب ، وما أُوتيتم من العلم إلّا قليلا، وفوق كلّ ذي علم عليم. ربّ زدني علماً وألحقني بالصالحين.

منازل العارفين

إنّ للعارف بالله، السالك إليه ، المنصرف بفكره إلى قدس الجبروت مستديماً لشروق الحقّ في سرّه ، إنّما يعبد الله شوقاً وحبّاً، وأنّه سبحانه أهلا للعبادة، فيعبد الله لا رهبةً وخوفاً من النار، ولا رغبةً وطمعاً في الجنّة ، بل لأنّه عزّ وجلّ مستحقّ للعبادة ، وإنّها استدامة صلته بالله عزّ وجلّ ونسبة شريفة إليه.

(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه).

فحقيقة العرفان بالله صفاءً ومشاهدةً وامتلاء القلب نوراً، والصدر شرحاً، والعقل لبّاً، والالتذاذ بذكر الله حبّاً وشوقاً، والفناء في الله والبقاء به ، وطرح النفس في العبوديّة ، والخروج من الحيطة البشريّة والدخول في دائرة الحقّ بالكلّيّة.

فبداية العرفان معرفة الله ونهايته توحيده وتفويض الأمر إليه ، فيصفوا العارف سرّه مع الله جلّ جلاله في معاملته ، وصَفَت له من الله عزّ وجلّ كرامته ، فيتحرّر من الدنيا وقيودها ومن سلاسل النفس الأمّارة ليتقيّد بعبوديّة ربّه ، فيجاهد نفسه ، ويمحو الصفات الذميمة عنه ، ويقطع العلائق عن قلبه كلّها، ويقبل بكنهه إلى ربّه ، فيتكفّله ويتولّاه ، فينوّر سريرته بأنوار العلم والحكمة ، ويفاض عليه من الرحمة الرحيميّة ، وينشرح صدره وتنكشف له

أسـرار الملكـوت فـي الآفـاق والأنفـس ، وتنقشـع عـن وجـه قلبـه حُجـب العـزّة بلطـف الرحمـة ، وتتـلألأ فيـه حقائـق الأُمـور الإلهيّـة شـهوداً وكشـفاً وعيانـاً.

ومـا العـارف باللـه إلّا مـن قـال (ربّنـا اللـه) ثـمّ اسـتقام عليـه ، ومـا الطريـق والسـلوك إلّا صفـاء ومقامـات وطـيّ المنـازل الروحيّـة التـي يمـرّ بهـا السـالك إلـى اللـه، فيقـف فيهـا فتـرة مجاهـداً فـي دائرتهـا حتّـى يتهيّـأ لـه سـلوك الطريـق إلـى المنزل الثانـي ، فينـدرج فـي السـموّ الروحـي والعقلـي والقلبـي مـن الشـريف إلـى الأشـرف ، ومـن سـامٍ إلـى أسـمى ، كمنـزل اليقظـة إلـى التوبـة ، ومـن ثـمّ إلـى الـورع وهكـذا إلـى منـزل الزهـد حتّـى يصـل إلـى منـزل التوحيـد.

ويشـترط فـي الإقامـة فـي المقامـات والمنـازل أن يسـتوفي أحـكام ذلـك المقـام والمنـزل ، وحجّتـه فـي كلّ منـزل إنّمـا هـو مـن دلالـة القـرآن الكريـم والسـنّة الشـريفة ومنهـاج الأئمّـة الأطهـار والأوليـاء الأبـرار.

وتهـبّ علـى العـارف فـي سـيره إلـى اللـه وسـلوكه المنـازل أحـوالا ومواهـب ونسـمات روحيّـة ونفحـات قدسـيّة ، وتنتعـش بهـا نفسـه ، وييـأس قلبـه ، ويتشـوّق إلـى طـيّ المنـازل العرفانيّـة (ألا للـه فـي دهركـم نفحـات فتعرّضـوا لهـا). واللـه يهـدي مـن يشـاء إلـى صـراط مسـتقيم حتّـى يصـل إلـى النهايـة ، ومـا الغايـة والنهايـة إلّا المشـاهدة والحضـور، وهـي أسـمى درجـات المعرفـة والعلـم والحكمـة.

قـال رسـول اللـه ٦ : «مـن سـلك طريقـاً يلتمـس بـه علمـاً سـهّل اللـه لـه طريقـاً إلـى الجنّـة ».

والعلـم أوّل دليـل والمعرفـة آخـر نهايـة ، وإنّهـا نـور القلـب وبرهـان الفضـل ، والفـوز بالقـدس والخيـر الكثيـر، وأفضلكـم أفضلكـم معرفـةً وإيمانـاً، ولا يقبـل عمل إلّا بمعرفـة ولا معرفـة إلّا بعمـل ، ومـن عـرف دلّتـه معرفتـه علـى العمـل ، ومـن لـم

يعرف فلا عمل له ، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة ، يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه ، ومن كانت له حقيقة ثابتة لم يقم على شبهة هامدة ، حتّى يعلم منتهى الغاية ، ويطلب الحادث من الناطق عن الوارث ، بأيّ شيء جهلتم ما أنكرتم ، وبأي شيء عرفتم ما أبصرتم إن كنتم مؤمنين.

والعلم ودراسته لقاح المعرفة ، ولقاح العلم التصوّر والفهم. ونور الحكمة الجوع ، فلا تشبعوا فيطفى نور المعرفة من قلوبكم ، ولا معرفة كمعرفتك بنفسك فإنّها أنفع المعرفتين ، ومن جهلها فقد ضلّ ، ومن عرف نفسه فهو لغيره أعرف ، ومن عرف قدر نفسه لم يهنها بالفانيات. ومن عرفها فقد انتهى إلى غاية كلّ معرفة وعلم ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربّه ، ومن عرف الله توحّد، ومن عرف نفسه تجرّد، ومن عرف الدنيا تزهّد، ومن عرف الناس تفرّد.

فاجعلنا اللهمّ من الذين عرفوا أنفسهم ، وأيقنوا بمستقرّهم ، فكانت أعمارهم في طاعتك تفنى.

دخل على رسول الله ٦ رجل اسمه مجاشع ، فقال : يا رسول الله، كيف الطريق إلى معرفة الحقّ ؟ فقال ٦ : معرفة النفس ، فقال : يا رسول الله، فكيف الطريق إلى موافقة الحقّ ؟ قال : مخالفة النفس ، فقال : يا رسول الله، فكيف الطريق إلى رضا الحقّ ؟ قال : سخط النفس ، فقال : يا رسول الله، فكيف الطريق إلى وصل الحقّ ؟ قال : هجر النفس ، فقال : يا رسول الله، فكيف الطريق إلى طاعة الحقّ ؟ فقال : عصيان النفس ، فقال : يا رسول الله، فكيف الطريق إلى ذكر الحقّ ؟ قال : نسيان النفس ، فقال : يا رسول الله، فكيف الطريق إلى قرب الحقّ ؟ قال : التباعد عن النفس ، فقال : يا رسول الله،

فكيف الطريق إلى أُنس الحقّ ؟ قال : الوحشة من النفس ، فقال : يا رسول الله، فكيف الطريق إلى ذلك ؟ قال : الاستعانة بالحقّ على نفسك.

فطوبى لمن عرف قدر نفسه ، واستعان بالله سبحانه على تهذيبها وتربيتها ورفع مستواها حتّى تبلغ قاب قوسين أو أدنى ، وتكون في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، ولا يتمّ هذا الأمر إلّا بالجهاد الأكبر وطيّ منازل العرفاء والحكماء كما رسمها لنا الأنبياء والأوصياء والأولياء بلطف من الله سبحانه وتعالى وهدايته.

ومن خير ما يقال في وصف العارفين بالله سبحانه أنّ ظاهره لا يخالف أحكام الشريعة ، وباطنه يطالب بأنوار الحقيقة ، فعاش في الدنيا من غير شغلة إلّا بذكر الله، ودخل القيامة من غير مطالبة إلّا بولاية الله، فيجذب كلّ شيء إلى الله، ولا يجذبه شيء عن الله، باطنه هجران الخلائق ، وظاهره قطع العلائق ، وسرّه مجرّد متعلّق بعيون الحقائق ، متخلّق بأخلاق الربوبيّة، ومستعمل للاداب الشرعيّة ، ومتمسّك بالقرآن والسنّة الشريفة ، أكله أكل المرضى ، وكلامه كلام الجرحى ، وجلوسه جلوس الروعى ، ونومه نوم الغرقى، ظاهره خلقي ، وباطنه خالقي ، وقلبه وحداني ، وفكره عرشي وسرّه سرمدي، ظاهره مسيحي وباطنه خليلي ، وهمّته كليمي ، وسرّه محمّدي ، كلامه الله، وعلمه الله، ونظره إلى الله، وسماعه من الله، وأُنسه بالله، ومنزله عند الله، وتوكّله على الله، وعيشه مع الله، فهو أوحدي الأحوال ، وواحدي الأقوال ، ووجوده وقلبه مشتغل بالمولى جلّ جلاله.

ولقد ذكر بعض علماء الطريقة والتصوّف منازلا ومقامات لمن أراد السير والسلوك ولا بأس بها لو استقينا حجّيتها وإثباتها من الكتاب الكريم والسنّة

الشريفة ومنهاج الأئمّة الأطهار :، فإنّ القرآن والعترة الطاهرة هما منبعا علومنا ومعارفنا وعرفاننا وطريقتنا في السير والسلوك ، فهما حجّتنا في الدنيا والآخرة ، وأنّ ولايتهم والاقتداء بمناهجهم والتأسّي بهم هي الطريقة المثلى والصراط المستقيم ، وهذا ما ثبت بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة من الأدلّة العقليّة والنقليّة.

فما ذكر من منازل السائرين والسالكين مائة مقام مقسومة عشرة أقسام وهي كما يلي :

١ ـ قسم البدايات ، وهي عشرة أبواب : اليقظة ـ التوبة ـ المحاسبة ـ الإنابة ـ التفكّر ـ التذكّر ـ الاعتصام ـ الفرار ـ الرياضة ـ السماع.

ولا يخفى إن كان المراد من السماع الغناء والموسيقى وما شابه ذلك فهذا يتنافى مع فقهنا المأخوذ من أئمّة أهل البيت : فما نذكر من المقامات في هذه العجالة إنّما هو في المذهب الصوفي السنّي ، كما جاء ذلك في كتاب (منازل السائرين) لأبي إسماعيل عبد الله بن محمّد الأنصاري الهروي الحنبلي (ولد سنة ٣٩٦ ه‍ وتوفّي سنة ٤٨١ ه‍) وشرحه بعض علماء السنّة كالشيخ كمال الدين عبد الرزّاق الكاشاني المتوفّى ٧٣٥ ه‍ ومحمّد البتادكاني الطوسي المتوفّى ٨٩١ ه‍ والشيخ محمود الدركزيني المتوفّى ٧٤٣ ه‍ والشيخ أحمد الواسطي المتوفّى ٧١١ ه‍ وابن قيم الجوزيّة المتوفّى ٧٥١ ه‍ والشيخ عبد الغني التلمساني والشيخ عفيف الدين سليمان التلمساني المتوفّى ٦٩٠ ه‍ وغيرهم.

ولنا طريقتنا الخاصّة في السير والسلوك تبتنى على الشريعة والطريقة والحقيقة معاً، ويجمعها الإيمان الراسخ بالعلم النافع والعمل الصالح ، وفقاً

لكتاب الله والسنّة الشريفة المتمثّلة بسنّة النبيّ المصطفى ٦ والعترة الطاهرة :.

٢ ـ قسم الأبواب ، وهي عشرة أبواب : الحزن ـ الخوف ـ الإشفاق ـ الخشوع ـ الإخبات ـ الزهد ـ الورع ـ التبتّل ـ الرجاء ـ الرغبة.

٣ ـ قسم المعاملات وهي عشرة أبواب : الرعاية ـ المراقبة ـ الحرمة ـ الإخلاص ـ التهذيب ـ الاستقامة ـ التوكّل ـ التفويض ـ الثقة ـ التسليم.

٤ ـ قسم الأخلاق وهي عشرة أبواب : الصبر ـ الرضا ـ الشكر ـ الحياء ـ الصدق ـ الإيثار ـ الخلق ـ التواضع ـ الفتوّة ـ الانبساط.

٥ ـ قسم الأُصول وهي عشرة أبواب : العقد ـ العزم ـ الإرادة ـ الأدب ـ اليقين ـ الأُنس ـ الذكر ـ الفقر ـ الغنى ـ المقام ـ المراد.

٦ ـ قسم الأودية وهي عشرة أبواب : الإحسان ـ العلم ـ الحكمة ـ البصيرة ـ الفراسة ـ التعظيم ـ الإلهام ـ السكينة ـ الطمأنينة ـ الهمّة.

٧ ـ قسم الأحوال وهي عشرة أبواب : المحبّة ـ الغيرة ـ الشوق ـ القلق ـ العطش ـ الوجد ـ الدهش ـ الهيمان ـ البرق ـ الذوق.

٨ ـ قسم الولايات وهي عشرة أبواب : اللحظ ـ الوقت ـ الصفاء ـ السرور ـ السرّ ـ النفس ـ الغربة ـ الغرق ـ الغيبة ـ التمكّن.

٩ ـ قسم الحقائق وهي عشرة أبواب : المكاشفة ـ المشاهدة ـ المعاينة ـ الحياة ـ القبض ـ البسط ـ السكر ـ الصحو ـ الاتّصال ـ الانفصال.

١٠ ـ قسم النهايات وهي عشرة أبواب : المعرفة ـ الغناء ـ التحقيق ـ التلبيس ـ الوجود ـ التجريد ـ التفريد ـ الجمع ـ التوحيد.

فنهاية المنازل التوحيد، وهي دعوة الأنبياء والمرسلين. قال رسول الله محمّد خاتم النبيّين ٩ : «قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا» ألاَ من قال (لا إله إلّا

الله) مخلصاً وجبت له الجنّة ،وعلامة إخلاصه الورع عن محارم الله سبحانه، ولا بدّ لنا أن نتخلّق ونتأدّب بآداب التوحيد في كلّ أبعاد حياتنا وعلى جميع الأصعدة وفي كلّ الأُطر (شهد الله أنّه لا إله إلّا هو) ثمّ الطرق إلى التوحيد في مقام العمل والتطبيق بعدد أنفاس الخلائق ، فإنّ توحيد العامّة بصحّة الشواهد والآثار من الآيات الآفاقيّة الأنفسيّة ، وتوحيد الخاصّة بثبوت الحقائق من الشهود والكشف والمعاينة ، وأمّا توحيد خاصّة الخاصّة فهو قائم بالقِدم ، وعرفوا الله بالله وهو توحيد الصدّيقين اختصّه الله لنفسه ، وأفاض منه على أسرار طائفة من صفوته وخلّص عباده.

أيّها السالك والمسافر إلى الله عزّ وجلّ لقد عرفت أنّ بداية السير والمنازل اليقظة ونهايتها التوحيد، إلّا أنّ التوحيد بنظري سارٍ في كلّ المنازل وبطيّها يزداد السالك توحيداً حتّى يصل إلى التوحيد الخالص الذي يعدّ نهاية المنازل وأنّه الفناء فيه والبقاء به بعد الغناء عن الفناء.

فاسعَ سعيك واجهد جهدك واستعن بربّك وتزوّد فإنّ خير الزاد التقوى (ومن يتّقِ الله يجعل له مخرجاً)، (ومن يتوكّل على الله فهو حسبه)، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير.

الإنسان الكامل ظلّ الله

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم :(ألم ترَ إلى ربّك كيف مدّ الظلّ ولو شاء لجعله ساكناً).

من الواضح أنّ امتداد الظلّ للشاخص هو من الامتدادات الوجوديّة ، وكلّما كان قريباً منه كان قويّاً في ظلّيّته حتّى يفنى فيه ، ولا يكون للشاخص ظلاًّ إذا كان في مستقيم النور، وكلّما افترق وابتعد عن النور ضعفت الظلّيّة حتّى ينعدم الظلّ بابتعاده الكلّي.

وما سوى الله من الممكنات والمصنوعات في وجودها النوري ظلّ لأسماء الله وصفاته ، فالمراتب الأُفقيّة والعموديّة في الوجود الظلّي إنّما هي تجلّيات لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وليست الموجودات والوجود في كلّ مراتبها التشكيكيّة عين ذات الله حتّى يلزم منه وحدة الوجود الباطل والمبطّن بالكفر، كما يذهب إليه بعض المتصوّفة والفلاسفة بأنّ المراتب الوجوديّة عين ذاته حقيقة ، وإن كانت غيرها تعيّناً.

ثمّ لكلّ شيء ظلّ في واقعه وماهيّته ، إلّا أنّه من الظلّ ما هو ممتدّ، ومنه ما هو غير ممتدّ، فظلّ الله في أسمائه الرحمانيّة هو الظلّ العرشي الممتدّ، وهو في الأُلوهيّة ظلّ غير ممتدّ.

ثمّ الظلّ منه ما هو ظاهر كما في الجسم الظاهر وظلّه الظاهري ، ومنه

ما هو باطن كالجسم المحسوس إذا أحاطت به الأنوار، فإنّ الظلّ يكون فيه باطناً، كما أنّ النور ظلّه في باطنه ، وإنّ الظلمة ضياؤها فيها، وإنّ الشاخص يستوي على الظلّ ، ومنه قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى)، فالعرش ظلّ الرحمن.

أمّا الإنسان الكامل وجامع الجمع في خلافة الله، فعرشه الإنساني ظلّ الله، أي ظلّ اسم الجلالة الجامع لجميع صفات الكمال والجلال والجمال ، فإنّه لإسم الجلالة ترجع جميع الأسماء الحسنى ، فهي المحيطة عليها، وكما أنّ لها المركزيّة في اتّصال الأسماء بها، فتهيمن عليها مقدّسة عن التقييد، فمن قال : (اللهمّ اغفر لي) فإنّما يغفر الله له باسمه التوّاب الغفّار، فالجلالة تنوب مناب الاسم الغفّار حينئذٍ. فاسم الجلالة (الله) جلّ جلاله إنّما هو للأسماء كلّها بمنزلة الذات الإلهيّة لما تحمله من الصفات العليا والأسماء الحسنى التي هي بمنزلة الحجب النوريّة للذات.

فكلّ اسم يندرج في اسم الجلالة ، منه يخرج وإليه يعرج ، وهو دليل الذات وغيب الغيب لا غير. ثمّ الدائرة في ماهيّتها حقيقة بسيطة يصدق عليها (هو الأوّل ، هو الآخر) فينعطف أوّلها على آخرها وآخرها على أوّلها. ثمّ الحقائق لا تتجلّى إلّا بالكشف الربّاني والشهود السبحاني ، أمّا الأدلّة العقليّة والبراهين المنطقيّة فما هي إلّا مقدّمات نوريّة لفهم الحقائق ودركها كما هي، فلا تنافي بين البرهان والعرفان.

ثمّ كلّ ما في الوجود الإمكاني دائريّ الشكل لبساطتها ورجوع المركّبات إليها، فتكون دائماً في حالة الركوع والخضوع لبارئها وخالقها وصانعها الذي هو حقيقة الدائرة المحيطة بكلّ شيء، فالأفلاك مدوّرة الوجود والأيّام تدور،

والساعات والدقائق والثواني والآنات كلّها في الدوران ، وما من شيء إلّا في قوسي النزولي والصعودي ، وفي أيّ نقطة من الدائرة تبدأ الحركة الوجوديّة فإنّها تكون البداية والنهاية ، والأوّل والآخر، والظاهر والباطن ، فيلزم الوحدة والحقيقة البسيطة ، ثمّ بساطة الحقائق الجسمانيّة والروحانيّة ، العلويّة والسفليّة.

فاليوم منه ما هو جسماني ، طوله ثلاثمئة وستّون درجة فلكيّة ، يظهر فيه الفلك كلّه وتعمّه الحركة ، وتأخذ الأجسام في هذا اليوم الجسماني أغذيتها ونموّها، وصحّتها وسقمها، وحياتها ومماتها.

ومنه ما هو اليوم الروحاني تأخذ العقول في هذا اليوم معارفها، والأرواح تأخذ أسرارها، والبصائر شهودها وكشفها، والقلوب إلهاماتها وإشراقها.

وكلّ الدوائر العظام والصغائر إنّما تدخل في الدائرة المحيطة الكبرى ، وهي الولاية الإلهيّة العظمى المتجلّية في الحقيقة المحمّديّة السارية في الخلق كسريان الروح في الجسد.

وما الإنسان الكامل الجامع لأسماء الله وصفاته والمظهر لها في تجلّياته ، إلّا الظلّ الإلهي الممتدّ، ألم ترَ إلى ربّك كيف مدّ الظلّ إلى ما لا نهاية حتّى يفنى فيه ويبقى به ؟!

والإنسان الكامل قطب عالم الإمكان هو أوّل الخلق الصادر من نور الله جلّ جلاله ، وهو العقل الكلّ والرسول الأعظم أشرف الخلق محمّد ٩ الذي تبلورت فيه الحقيقة المحمّديّة والولاية الإلهيّة ، ثمّ تجلّت في عترته الأطهار والأئمّة المعصومين الأبرار، ثمّ في الأنبياء والأولياء وفي الخلق الأمثل فالأمثل ، فدنى فتدلّى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، دنوّاً واقتراباً من العليّ الأعلى. فسبّح باسم ربّك الأعلى...

الإنسان بنظرة إسلامية

إنّ الإنسان في حقيقته الإنسانيّة واحد لا ينفكّ معاده عن معاشه، وحقوقه عن واجباته وتكاليفه، ووصاياه عن أوصافه، واعتباريّاته عن دقائقه، ودنياه عن آخرته.

ومن الانحطاط الفكري والخساسة العقلانيّة أن نفصل بين الدين والدنيا في جوهر الإنسان وواقعه، ونميّزه في معنويّاته ومادّياته، بأنّ الدين إنّما يتكفّل آخرة الإنسان وروحانيّاته ومعنويّاته دون دنياه ومادّيّاته ومعاشه الاقتصادي والسياسي، فيلزمه فصل الإنسان عن إنسانيّته، وأن يكون عبد بطنه وشهواته، وتستبدّ التكنولوجيا في مجتمعه وحياته المادّيّة، حتّى يعيش الإنسان كأداة مادّيّة في الحياة الفيزيقيّة والطبيعيّة بلا تفكّر ولا تأمّل ويكون كالسيّارة التي لا شعور لها في حركتها، ويصبح ماكنة متحرّكة ويزداد ذكاءً في حركاته ونشاطه العلمي والفنّي إلّا أنّه يقلّ عقلا وشعوراً، فيدرك القضايا الجزئيّة ويغفل ويسهو عن الحقائق الكبرى والقضايا العامّة والجوهريّة، فكان المفروض من الإنسان في تكوينه الإنساني أن يركب السرج، وإذا به وضع عليه السرج وهو لا يدري، فكان مطيّة الشهوات والرغبات، وحكمت الوسائل بدلا عن الأهداف، وضاع الإنسان في نطاق حرّيّته ودائرة إنسانيّته، وفقدت الفضائل والمكارم قدسيّاتها ونورها، وأصبحت الرذائل والشرور عاديّة بين الناس، وانقلبت

الموازين واضمحلّت الخُلق العليا وفقدت القيم قيمتها، حتّى كاد أن يكون العيش المادّي ونيل الشهوات الأكثر هو الهدف ومقصود الحياة ، وهذا ما يتنافى مع سنّة الله وحكمته من الخلق ، يتنافى مع نظر الأنبياء والأوصياء والعلماء، يتنافى مع العقل السليم والفطرة الصحيحة ، فإنّ الحياة الدنيويّة إنّما هي مقدّمة الآخرة ، وإنّ الدنيا مزرعة الآخرة.

فأصحاب المادّة وأتباع الفلسفة المادّيّة يستلزمهم العبث في حياتهم الدنيويّة، كما يلزمهم الضياع والعدم وحكومة فلسفة العبث في المجتمع الرأسمالي واللاديني والعلماني ، وهذه من أهمّ الأخطار التي يستلزم من يقول بالفصل بين الدين والدنيا وبين الدين والسياسة والحكومة...

واعلم أنّ الحكومة والسياسة بنظر أمير المؤمنين عليّ ٧ ـ كما في نهج البلاغة ـ ليس بمعنى التلاعب بأفكار الناس بصورة جيّدة وخفيّة كما كان عند معاوية ، كما أنّ الأخلاق ليس تابعة لعلم النفس وعلم النفس تابع للخلايا والأعصاب في الإنسان ، بل الأخلاق والسياسة حقائق إنسانيّة وإلهيّة يقصد منها تربية الإنسان وعروجه إلى قاب قوسين أو أدنى من الفضائل والقرب الإلهي. فإنّ السياسة العلويّة والأخلاق المحمّديّة إنّما تريد من الإنسان الطبيعي بما عنده من النفس الأمّارة بالسوء أن يصل بإرادته وجهاده وجهوده إلى ما هو فوق الطبيعة ووراءها، فكلّ واحد من الناس فيه الحقيقة الإنسانيّة التي هي من روح الله سبحانه ، وإنّما يملكها بالقوّة ، وتخرج منها إلى الفعليّة بالتربية والتعليم ، وينقلب الإنسان بالقوّة إلى الإنسان بالفعل.

فأمير المؤمنين عليّ ٧ معلّم الإنسانيّة والأخلاق يسوق الإنسان ويقوده إلى حضيرة القدس الإلهي ، وإنّ فلسفة إمامته وقيادته كما في البعثة النبويّة من

صنع الإنسان وتربيته وإيصاله بالهداية التكوينيّة والتشريعيّة إلى قمّة إنسانيّته وكماله.

ثمّ الإسلام دين الله القويم، ورسالة التوحيد الحاكمة على كلّ أبعاد ومجالات حياة الإنسان، يريد للإنسان الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، إلّا أنّ الغرب الرأسمالي والشرق الإلحادي يريد للمسلمين إسلاماً منفكّاً عن الدنيا، وعن حياتنا الاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة، يريد إسلاماً بلا معاش وتوحيداً ذهنيّاً، فإنّه يروّج لإسلام لا يضرّ مصالحهم ومقاصدهم وسياساتهم، لا يحارب دكتاتوريّتهم ودنياهم وحكومتهم على البشريّة.

ومن قبل سمع أحد السياسيّين من يقرأ القرآن فقال: ما دام لا يضرّ بحكومتنا فليقرأ حتّى تنجرح حنجرته.

الإسلام المحمّدي العلوي الأصيل، إنّما هو مجموعة قوانين لا يمكن الانفكاك بينها، وإلّا فإنّه يلزم أن يكون إسلاماً كارتونيّاً وكاريكاتوريّاً، فإنّ فيه كلّ شيء ويشبهه إلّا أنّه ليس هو هو، لعدم حفظ التناسب والأبعاد في الصورة الكاريكاتوريّة.

الإسلام مدرسة ومنهاج لا بدّ من ملاحظته بكلّ أبعاده ودروسه وبرامجه.

الإسلام عقيدة وسلوك، ونظام دين وعمل، جهاد وأخلاق، سياسة وفقه، وكلّ شيء، فليس مجرّد لقلقة لسان وشعارات جوفاء.

منبع الإسلام ومصدر علومه وتشريعه ومنهاجه وأخلاقه هو القرآن الكريم والسنّة الشريفة وهما جبهة اجتماعيّة وإيمان وعمل، وإنّه ليخلق في وجود الإنسان حرب عشواء مع نفسه الأمّارة بالسوء، كما يأمره بمجاهدة الكافرين والشياطين في الخارج.

فالإسلام رسالة عمليّة ونظام اجتماعي وسياسي وثقافي واقتصادي كما هو نظام فردي وأخلاقي وروحاني ومعنوي ، وقيام بالقسط والعدل والرحمة والإحسان ، لا إبهام فيه ولا شكّ ولا ريب هدىً ورحمة للناس ، ولم يكن مشكوكاً ولا نسبيّاً حتّى يقال بتعدّد القراءات فيه ، بل هو نظام واحد ثابت مقدّس ، دنياه آخرته وآخرته دنياه ، وطوبى لمن عرف قدره ، وقدر الحياة ، وعظمة الإسلام.

يقول أرباب الدنيا وأصحاب الملاذّ أنّ الدين والمعنويّات لكم ، والدنيا وما فيها لنا، فمن الأرض حتّى سطح الدار من حقّنا، ومن سطح الدار إلى السماء من حقّكم.

أمّا الإسلام فيقول كلّه للإنسان ، وإنّ الإنسان لربّه سبحانه وتعالى ، وإنّك كادحٌ إلى ربّك كدحاً فملاقيه.

إنّ الرأسماليّة والشيوعيّة والليبراليّة طالبت بالتوسّع والتقدّم والازدهار للإنسان ، وإن لم تعرف معانيها وحدودها وماهيّاتها، فعرّفت الإنسان والحريّة والقانون والوطن وغير ذلك بتعاريف أسقطت الإنسان عن قيمته وثمنه ومقداره وأوج إنسانيّته...

ثمّ لا يمكن لنا أن نتجاوز المحكمات بالمتشابهات ، بل لا بدّ من تفسير وتأويل المتشابهات على ضوء المحكمات والبيّنات.

إنّ أمير المؤمنين عليّاً ٧ قد كشف لنا حقيقة الإنسان وأنّ ثمنه الجنّة وأن يكون في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر في جوار الله جلّ جلاله.

إنّك حرّ فلا تكن عبداً لغيرك ، وإذا لم نعرّف الإنسان بتعاريفنا المستقاة من القرآن والسنّة الشريفة ، فإنّ غيرنا سيعرّفه لنا ويقهرنا على قبول تعريفه، فنرى

الإنسـان بمنظـار غربـي أو بنظّـارات شـرقيّة ، فنشـاهده فـي الشـكليّات الرأسـماليّة والاشتراكيّة.

فـلا بـدّ لنـا مـن تعريـف الإنسـان بتعريفـه الإلهـي ، أي كمـا عرّفـه اللـه لنـا، فهـو خالقـه وإنّـه أعـرف بحقيقتـه الواحـدة ، وبوجـوده النـوري المنبسـط بيـن الدنيـا والآخـرة ، والـذي يحيـط بالقـوس النزولـي والقـوس الصعـودي ، بـل هـو مركـز عالـم الإمـكان والتكويـن

أتزعم أنّك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبرُ

فالإنسـان هـو المحـور وإنّـه أرضـيّ الجسـد وسـماويّ الـروح فبيـن أن يكـون مـن العلّييـن أو يكـون فـي أسـفل السـافلين ، فنعطيـه حقّـه بالعـدل والحكمـة.

إنّ العدالـة وحقـوق النـاس بنظـر أميـر المؤمنيـن إنّمـا هـو باعتبـار الإنسـان المكـرّم والمعـزّز المتبلـور فيـه أسـماء اللـه وصفاتـه العليـا، فإنّـه مـرآة الحـقّ ، وانعـكاس للحقيقـة الأبديّـة الخالـدة ، ولـولا الإنسـان لمـا كان الديـن ، ولا الحكومـة والحاكـم والمحكـوم والرئيـس والرعايـا، فـكلّ شـيء مـن أجـل الإنسـان ، والإنسـان مـن أجـل اللـه سـبحانه.

فكلّنـا عبـاد اللـه وعبيـده ، وفـي ملكـه وقهّاريّتـه وعلمـه وقدرتـه ، وإذا عـدل الحاكـم بيـن النـاس وخـدم الأُمّـة ، فإنّـه طاعـةً للـه وتبعـاً لأمـره ، وأينمـا كان الحـقّ كان الواجـب والتكليـف ، ولا خـوف ولا تملّـق لا مـن الحاكـم ولا مـن النـاس ، إنّمـا الخـوف مـن اللـه عـزّ وجـلّ أن لا يسـقط مـن عينـه ، ويبتلـى بغضبـه ، والبعـد عنـه.

والرسـول الأعظـم ٩ لـم يخـف النـاس ولا يرائـي معهـم كمـا لـم يـراءِ مـع اللـه سـبحانه ، بـل كان صادقـاً مـع نفسـه ومـع ربّـه ومـع النـاس ، ولكـم فـي رسـول اللـه أُسـوة حسـنة.

(لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم).

فكان من الناس ومع الناس يتحمّل ما أصابهم ويعيش آلامهم (عزيز عليه ما عنتّم) أي مشاكلكم وإنّه بالمؤمنين عطوف شفيق رحيم.

ثمّ التكليف ربما يكون فوق التاريخ ، فلا ينحصر بمن عاصر النبيّ أو الوليّ ٨ بل يعمّ كلّ من كان ولو في الأصلاب إلى يوم القيامة. كما قال أمير المؤمنين عليّ ٧ لمن قال له بأنّه عنده أخ لم يشارك معه في الحرب فقال: ما دام هواه معنا فقد شهدنا، بل وشهدنا رجال لا زالوا في أصلاب آبائهم.

ثمّ الحكومة الإسلاميّة إنّما تهدف رضا العامّة لله سبحانه (أجمعها للرضا الرعيّة) ولا ترضى الخواصّ على حساب العامّة ، بل عندها يتهاون سخط الخاصّة برضا العامّة.

وأمير المؤمنين عليّ ٧ يعلّم واليه وحاكم الناس كيف يتعامل مع العامّة : «أطلق على الناس حلّ كلّ عقد»، «إن ضنّت بك الرعيّة حيفاً أصحر لهم » أي لا بدّ من رفع سوء التفاهم بينك وبين الناس ولا بدّ من الإصحار ومكاشفة الناس وأن تشرح لهم وترفع عنهم الشكوك والشبهات ، وتعتذر مع الخطأ، وتستر عليهم عيوبهم.

وهذه من شواخص الحكومة الإسلاميّة في نظر أمير المؤمنين ٧.

فلا بدّ من ملاحظة نقاط القوّة في الناس : «إنّ في الناس عيوباً والوالي أحقّ من سترها». ثمّ الناس ليس مقياس الحقّ والباطل في نظر الإسلام ، وإن كان الإسلام يعطي القيمة العليا للإنسان بأعلى درجات القيم.